سيدي العارف بالله

ابن عجيبة

"الفهرسة"

حققها وقدم لها وعلق عليها
دكتور / عبد الحميد صالح حمدان

الطبعة الأولى

١٩٩٠

الناشر

دار الغد العربي
٣ شارع حانش . العباسية
ت . ٨٢٤٣٢٩٠ القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما ..

مقدمة

الحمد لله الفتاح العليم الحليم الغفار . ذي الطول السابغ والفضل المدرار . والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد نور الأنوار . وسر الأسرار . وعلى آله الأطهار . وصحابته الأبرار ..

أما بعد : فإن التحدث بالنعم واجب . ونشرها لأهل الاعتقاد والتسليم [أمر] لازب . وها أنا أذكر بعض ما منَّ الله به علينا . وما يتعلق بأسلافنا . وما يصلح ذكره من أول نشأتنا . إلى أوان زماننا . وكيفية أخذنا للعلم الظاهر والباطن . وذكر أشياخنا في العلمين وإجازتهم لنا . ومن شهد لنا بالكمال في الأمرين . وما ألفناه من الكتب وما ارتكبناه في سيرنا من الأحوال . وما لقيناه من الأهوال في طريق الوصال . وبعض ما شهدناه من الكرامات والتأييدات . ومن أخذ عنا طريق التربية من الفقراء السادات . حملني على ذلك أني رأيت بعض الأحباب جمع شيئا من ذلك لكنه ربما وقع منه الزيادة والنقصان . فأردت بعون الله أن أذكر منه ما شهدته العيان . وسمعته الآذان . وليس الخبر كالعيان . وقد فعل هذا غير واحد من المتقدمين والمتأخرين كشيخ شيخنا مولاي العربي [1] رضي الله عنه جمع كراماته ورسائله بيده وكذلك الشيخ زروق [2] رضي الله عنه . والشعراني [3] واليوسي [4] وغيرهم ذكروا ما منحهم مولاهم من سابق العناية . وما من عليهم من الجلال والجمال بداية ونهاية . نفعنا الله بذكرهم . وبخرطنا في سلكهم . ونفعنا الله ببركاتهم آمين . [والحمد لله رب العالمين والسلام وبالله تعالى سبحانه التوفيق] .

---

(١) الشيخ العربي الدرقاوى [١٢٣٩ هـ] ، شيخ الطريقة الدرقاوية .

(٢) الشيخ أحمد زروق [٨٩٩ هـ] ، انظر جنّون ، مشاهير الرجال ، تطوان .

(٣) الشيخ عبد الوهاب الشعرانى [٩٧٣ هـ] . انظر ترجمته فى المناوى ، الكواكب الدرية .

(٤) الشيخ الحسن اليوسى ، الصوفى المغربى .

[الفصـــــل الأول]

ذكر أســلافنا وما يتعلق بنسبنا

فأما سلفنا فأنا عبد الله أحمد بن محمد بن المهدي بن الحسين بن محمد بن عجيبة الحجوجي [بن سيدي عبد الله بن عجيبة المستقر بالخميس ثم إلى سيدي سنحون ابن مولاي إبراهيم بن مولاي محمد بن مولاي موسى بن مولاي عبد الله ثم إلى مولاي أحمد بن مولاي إدريس الأصغر بن مولاي إدريس الأكبر رضي الله عنهم أجمعين هكذا رأيت بخط جدي الحسين المذكور أعني الجمع بين النسبتين ابن عجيبة والحجوجي] .

ونسبنا يتصل بالولي الصالح [العالم] القطب الواضح ذي الكرامات العديدة والمآثر الحميدة سيدي الحسين الحجوجي وسبب جريان هذا اللقب على الجد المذكور أنه كان من أهل الخطوة فكان كل سنة يقف مع الحجاج بعرفة على سبيل الطي وخرق العادة . فإذا كان يوم النحر غاب من وقت صلاة العيد إلى الضحى الأعلى فيقول الناس له أين كنت ياسيدي الحسين : فيقول : كنت بمنى مع الحجاج . فلم يصدقوه بذلك . فلما كان بعض المواسم غاب على عادته . ثم أخرج لهم رغيفين من رغيف مكة طريين . فصدقوه وصار الناس يقولون إذا رأوه هذا سيدي الحسين الذي يحج ويجيء حتى اشتهر بالحجوجي . ثم سرت في عقبه حتى غلبت عليهم . وخلوته التي كان يتعبد فيها مشهورة بقرب مدشر [٥] أجلا وقد تعبدنا فيها بعض الأيام وكذلك العين التي كان يتوضأ منها وتسمى اليوم [٦] بعنصر حسين نسبة إليه . والذي سمعناه من أسلافنا متواترا أنه كان يرعى الغنم لشيخه سيدي عبد الله بن عجيبة فقيل له إن الغنم تقبل [٧] في موضع واحد بالجوع والعطش . فرصده ذات يوم خفية فوجد الغنم تعلف الشعير من الأرض

---

(٥) أجلا : شاطيء بالقرب من طنجة (المدشر : أصغر من قرية) .

(٦) العنصر : منبع الماء .

(٧) تقبل : يلقي طيلة النهار .

فلما كان وقت سقيها ركز عكازه ففار الماء . فقال الشيخ حينئذ حسبك من الرعاية أنت اليوم أفضل مني فمن ذلك تسمى ذلك الماء ، بعنصر حسين فقربه الشيخ وزوّجه وقبره مشهور بمدشر شرقية في مقبرة الكدان يستسقى به الغمام ويلتجأ إليه في الشدائد والآلام وهو مجرب عند الخاص والعام في أمر المطر إذا كان القحط صب الناس على قبره شيئا من الماء فينزل المطر سريعا نفعنا الله ببركاته آمين . وأما تاريخ وفاته فلم نقف على شيء في ذلك غير أن الظن القوي أنهما من أهل القرن التاسع خرجا من الأندلس حيث أخذتها النصارى .

ولقد حدثني رجل مسن بمدينة تطوان عاش أكثر من مائة سنة يقال له أَقْلِيمَنْك وله خبرة بالتاريخ قال إن سيدي عبد الله ابن عجيبة خرج من سبتة حين أخذت ونزل بشرقيه . هـ . وسبتة أخذت سنة سبع وثمانمائة [٨] فيكون الشيخ من أهل القرن التاسع والله تعالى أعلـم .

ولم نقف أيضا على تحقيق نسبه أعني سيدي الحسين غير أن الظن القوي به أنه من قرابة شيخه سيدي عبد الله ابن عجيبة بل ولد أخيه ولقد سمعت من أبي رحمه الله أنه سمع الرجل الصالح سيدي عبد الرحمن ابن عجيبة يدعو على من يفرق بين ابن عجيبة والحجوجي . ويقول هما شيء واحد من يفرق بينهما لا يربح . هـ .

ولقـد وقعت مشـاجرة كبيرة بين الفـريقـين في حياة شيخنا العلامة سيدي عبد الكريم بن قريش حين أرادوا أن يعزلونا من نسب الشيخ سيدي عبد الله ابن عجيبـة فحكم لنـا بصحة النسب وأن الألقاب لاتغير النسب من صحة الحوز وكذلك غيره من العلماء كالقاضي سيدي محمد بن عبد السلام بن عبود وابن عمه سيدي محمد وغيرهم حسبما هو بأيدينا وسيدي عبد الله ابن عجيبة مدفون بين أظهرنا وفي حوزنا نأخذ صدقته وهداياه منذ مائة سنة وأكثر على ما أدركنا عليه أسلافنا عن أسلافهم . ولقد رأيت النبي ﷺ في مسجده المقدس فقال لي : أنت الفقيه ابن عجيبة ؟ فقلت له نعم أنا عبدكم أحمد ابن عجيبة . في رؤيا طويلة [وقال لي أنت ولدي حقا لا تشك] .

---

(٨) الواقع أن سبتة وقعت في يد البرتغاليين عام سبع عشر وثمانمائة

ولقد حدثني الأستاذ الصالح سيدي الطاهر البقال أنه كان ملازما عند شرفاء العلم في مدشر أفزنو ، فأتى إليه ذات يوم رجل صالح من صلحاء الشرفاء كبير السن فقال له أولاد ابن عجيبة هل ينتسبون للشرف أم لا فقال له لا ادري . غير أنهم يدعون الشرف . فقال له الرجل الشريف رأيت البارحة في النوم النبي ﷺ وبين يديه الفقيه سيدي أحمد وأخوه وهو يمسح على ظهر أحدهما . فلما رآني قال لي يافلان هؤلاء أولادي حقا . هـ .

وقد قال ﷺ : « من رآني في النوم فقد رآني فإن الشيطان لايتمثل بي . ولقد دخلت أنا والفقيه الصالح المدرر الناصح سيدي محمد حلتوت على الولي الصالح المجذوب المكاشف سيدي أحمد أبي سلهام وفي قلوبنا أن يخبرنا بصحة نسبنا أو ليخرجنا منه ليزول الإشكال . فلما دخلنا عليه نظر إلينا وقال : كلاكما شرفاء أو من أهل البيت . لا أتثبت لفظه لطول العهد به .

ولقد أضمرت هذه المسئلة في خاطري حين قدمت لزيارة شيخ شيخنا مولاي العربي الدرقاوى الحسني رضي الله عنه فلما زرناه وبقينا عنده مدة وهممت أن أكتب له بذلك ثم استحييت واكتفيت بعلم الله فلما انصرفنا عنه كتب لي بأثر انصرافي عنه ما نصه :

محبنا في الله الولي الصالح الواعظ الناصح الجامع بين الشريعة والحقيقة الشريف حسا ومعنى أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة الحسنى التطاوني . بعد السلام عليك الخ كلامه في رسالته رضي الله عنه .

وكتب لي مرة أخرى [ما نصه] :

« الولي الشهير العارف الكبير محبنا الشريف الحسني العالم الرباني أبو العباس سيدي أحمد بن عجيبة » ولم يزل يكتب لي بالنسبة هو وتلميذه شيخنا سيدي محمد البزيدي الحسني رضي الله عنهما .

[قال الولي الصالح سيدي محمد بوزيان سألني رضي الله عنه يعني الشيخ مولاي العربي يوم أخذت عنه الورد عام تسعة عشر بعد المائتين والألف هل أنا شريف أم لا : فقلت له : لا أدري ياسيدي فكرر علي مرات ثم قال لي : قل ما يقول أهلك . وأما أنا نعرف الشريف من غيره والحمد لله وأنت شريف . والتفت

إلى صاحبيه مولاي الهاشمي المنصوري وسيدي علي الحاج وقال لهما اسمعا ما أقول لكما إن بعض الأولياء كان إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة تحرك بيده عرق فيمسك عن أكله . وبعضهم كذا ، وبعضهم خصهم الله بكذا . وأنا قد خصني الله تعالى بخصوصية وهي أني مهما رأيت الشريف نعرفه من غيره والله على ما نقول وكيل] .

ولقد سمعته يقول أنا لنعرف أهل البيت بمجرد رؤيتهم أو كلاما هذا معناه . ثم التقيت مرة أخرى مع شيخ شيخنا مولاي العربي فأخذنا في الكلام حتى قال لي : أولاد الجعيدي شرفاء فقلت له ياسيدي هل وقفت على صحة نسبنا : فنظر إلي وقال لا تشك ولقد هممت أن أكتب بصحة نسبكم على ظهر كتابك يعني شرح الحكم [٩] كان عنده يطالعه لنستخرج النسخ منه .

وبعد هذا فحسب المرء دينه وشرفه تقواه . قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم [١٠] » . وقال ﷺ : « إنه لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى » . أو كما قال عليه السلام .

ولقد كنت فيما سلف اهتممت بهذا الأمر فوقف علي في النوم رجل بيده كتاب فقال خذ تنظر ترجمة جدكم ففتحت الكتاب فإذا فيه خط رائق فجعلت أتصفح أوراقه لنقف على الترجمة فكلمني فلما نظرت إليه قال لي جدكم هو عبد الله ابن عجيبة بن فلان بن فلان فما زال يذكر [أسماء] الأجداد إلى عمر بن إدريس ، فالله أعلم بغيبه . غير أن النبي ﷺ قال : « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوءة » .

وأما شرف سيدي عبد الله ابن عجيبة فمشهور ذكره ابن فرحون [١١] والشطيبي وغيرهما ممن ألف في الشرف النبوي .

---

(٩) وهو « إيقاظ الهمم في شرح الحكم » (حكم بن عطاء الله السكندري) ، انظر طبعة القاهرة ١٣٣١ و ١٣٨١ .

(١٠) الآية ١٣ من سورة الحجرات .

(١١) مؤلف « الديباج المذهب في معرفة علماء المذهب » ، وقد توفي سنة ٧٩٩ هـ .

قلت : وقد كنت أتنكب الانتساب وأتحرج منه في شهادتي وكتبي لعدم تحقق ذلك حتى رأيت شيخنا وشيخه يصرحان به في كتبهما لي ولأخي وهما يتكلمان بالله وينظران بنور الله فعلمت صحة النسبة مع الحكاية المتقدمة قبلُ . والرؤيا التي رآها الشريف العلمي وغيرها فقوي اليقين بصحة النسبة والله تعالى أعلم .

وجدتنا للأب والأم هي الولية الشهيرة المكاشفة الكبيرة السيدة فاطمة بنت الولي الصالح سيدي إبراهيم ابن عجيبة . كانت من أهل الإغاثة في البر والبحر ولها كرامات .

فمنها أن بعض البحرية طلعت عليهم سفينة النصارى وأرادوا أخذهم واستغلبوا عليهم . وقد حرنت (١٢) بهم . فقال رئيس السفينة لأصحابه من كان يعرف وليا في بلده فليستغث به . فقال رجل من طنجة اللا فاطمة العجيبية كان يسمع بها فظهرت معهم في المركب وهي تدفع المركب إلى البر وتقول الله الله الرجال فسلموا .

حدثني بهذه الكرامة ابن عمنا سيدي محمد بن إبراهيم زوج عمتي وكان أدركها . قال كنت معها في الفحص (١٣) في موضع يقال له صيوفة كانت تستعمل فيه الحرث فذهبت في وقت الصيف إلى زرعها فجاءه بحري من طنجة على ظهره رزمة من الثياب هدية لها فكلمها من وراء الحائط وقال لها جزاك الله عنا خيرا لقد اغثتنا في البحر أو كلاما نحوه ثم دفع لها الهدية .

ومنها أن امرأة من قبيلة انجرا تلف لها عجول صغار في ليلة مطيرة فخافت عليهم فقالت يالِلا فاطمة هم في ضمان الله وضمانك فأصبحت العجول سالمة . فلما قدمت لزيارتها كشفت السيدة عن ساقها وقالت ها هي مكرشة (١٤) على عجولك ما تركونا ننام حتى بالليل .

---

(١٢) حرّنت : وقفت الحركة (تستعمل عادة للبهائم) .

(١٣) السهل الممتد حتى جنوب طنجة ، وقد يستخدم للدلالة على الريف والقرى المجاورة لطنجة بصفة عامة .

(١٤) مكرشة : مخربشة .

ومنها أن امرأة كانت الحية تأكل لها دود العلوفة فقالت أنا دعوتها لسيدتي فاطمة فقدمت عليها وقالت ياللا فاطمة إن حية تأكل لي العلوفة دعوتها لله ولك فإذا حية طلّت في الباب فقالت السيدة هذه ؟ فقالت المرأة أي والله هي هذه . فأخذت السيدة بيدها مرزبة (١٥) وقالت للحية والله إن عدت لأكل دودها لأدقن رأسك فما عادت بعد ذلك .

ومنها أن نساء قدمن لزيارتها وأخذن شيئا من الشعير للزيارة فلما كن بالطريق استقللنه وقلن ما تصنع به السيدة فخبعنه (١٦) في الطريق ووصلن فلما رأتهن قالت لهن على البديهة قد أكلت الغنم الشعير الذي تركتن فوجدنه كذلك حين رجعن .

ومنا أنها كانت تكلف من يبيت عندها من النساء الزوار بالطحن لطعام العشاء للزوار والأضياف فقدم لزيارتها نساء فقلن في الطريق كيف نصنع برحى للا فاطمة هي ثقيلة متسقلات للطحن فلما قدمن وأردن الطحن قامت بيدها وقالت لا تطحنَّ شيئا قد بكيتن الهم لها في الطريق أي اهتممتن بشأنها وكرهتن الطحن بها .

ومنها أن بعض البنات تشابكن فكسرن خرصة وقيل نبالة كانت عارية لبعضهن فجعلن يبكين فدخلت عليهن فقالت ما لكن قلن قد تكسرت خرصة لنا أو نبالة كانت للناس فأخذتها وجعلتها تحت ثيابها ساعة ثم أخرجتها جديدة هكذا حدثتني الأم بهذه الكرامة سمعتها من أمها وكانت حاضرة لأنها كانت زوج ابنها وهو محمد ابن الحسين عم أبي .

ومنها أنها كانت ذات يوم في الفحص فقالت لختنها (١٧) السيد عبد الكريم اذهب تحتطب لنا من الجبل وأعطته بهيمتين فقال لها ومن يشد معي على البهيمة فقالت إنا نرسل لك من يشد معك فلما احتطب وشد الحزمتين انتظر من يشد معه وجعل يتفكر في نفسه ويقول أين هذا الحامل ومتى يكون فإذا رجل مقبل محزوم كهيئة الحطابين وهو يقول أعون الله فشد معه ظن أنه أحد الحطابين فلما قدم عليها

---

(١٥) مرزبة عصا غليظة الرأس .

(١٦) خبعه : خبأه .

(١٧) الختن : زوج الأخت .

قال لها أما قلت إنك ترسلين من يشد معي فما جاءني من عندك أحد فقالت اسكت قد أرسلت لك الرجل الذي حمل معك ذاك أبي وكان أبوها مات منذ سنين .

ومنها أن القائد الباشا ابن علي أراد أن يغصب لها أرضا يصنع فيها تاوزة [١٨] فاجتمع الناس لحرثها فهابوا الدخول فيها لما يعلمون من حالها . فقال أحدهم أنا أبدأ لكم فدخل بثيرانه فجعل في رجله عند أول دخوله عود خرج من أسفل إلى فوق فسقط ففر الناس ولم يتجاسر أحد عليها .

ومنها أنها كانت في الفحص فقالت لختنها المذكور نساء تطاون قد عمرن دارك . فقال والله لأعلمن اليوم صحة قولها فذهب يحمل من الزرع فوجدها كذلك .

ولها كرامات أخر نسيتها . ماتت رضي الله عنها في حدود العشرة الأولى من القرن الثاني عشر وقبرها مشهور يتبرك به بفناء مسجد الخميس قريبا من ضريح سيدي عبد الله بن عجيبة .

وأما أبوها سيدي إبراهيم فقد اشتهر عند الناس أنه كان يحرث بالسبع وذلك أن امرأة كانت قاصدة لزيارة داره فرأت حراثه يحرث بثور سمين فتوحمت على خنشوفته [١٩] أو تمنتها فكوشف بها وأمر حراثه بذبحه وأرسل برأسه لداره تأكل منه فقال له الحراث : وبما نحرث ؟ فقال : غدا يرزق الله إن شاء الله . فوجد سبعا كبيرا مع الثور الآخر . فقال له السيد احرث به ولا تنخسه . فحرث به أياما ثم نخسه ذات يوم فبهبر [٢٠] عليه وذهب . هكذا سمعت الحكاية من أسلافنا متواترة .

ومثل هذه الحكاية وقعت لبعض الأولياء . وهو الشيخ أبو مدين الغوث شكى إليه رجل أن السبع أخذ حماره وهو بارك [٢١] عليه يأكله فذهب معه وأخذ بأذن السبع وقال لصاحب الحمار : استعمله مكان حمارك . فما زال يستخدمه حتى مات السبع .

---

(١٨) تاوزة : توزيع أرض على الناس بدون حق (بعد اغتصابها) .

(١٩) خنشوف : أنف الحيوان .

(٢٠) بهبر : زمجر .

(٢١) بارك : قاعد (للحيوان) .

ومثل هذا لا يستغرب من أولياء الله . أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإذا شهدت المكون كانت الأكوان معك [٢٢] .

وحدثني الفقيه المسن سيدي محمد بن عبد السلام بن عجيبة أنه سمع رجلا مسنا من أولاد الحداد يقول كنت مع سيدي إبراهيم في الفحص في زمن المصيف وكانت حرثه قريبا من حرثي فوضع المخزن [٢٣] على كل من حرث بالفحص مغرما يعطيه للمخزن فجاء صاحب القائد إلى سيدي إبراهيم ليقبض منه ما نابه فأتاني يستسلف مني فقلت له الدراهم عندي ولكن والله لا أسلفك شيئا إذا كنت أنت تعطي النيبة [٢٤] فما نصنع نحن إذا عندك شيء فأظهره . فتبسم السيد وجلس فقام المخزني يسلك على ظهر فرسه فركله ركلة سقط على ظهره . قال الحداد فقلت هكذا نريد الآن نسلفك ما شئت . وله كرامات أخر لم أتحقق بصحتها .

وزوج السيدة فاطمة جدي الحسين كان فقيها صالحا ورعا ناسكا وكان ينسخ الكتب وخطه حسن ولم أقف على تاريخ وفاته وقبره ملتصق بقبر زوجه السيدة فاطمة وترك مع السيدة ولدين جدي المهدي المتقدم وأخاه واسمه محمـــد وهو أبو الوالدة .

حدثني أنه كان فقيها خاشعا كثير البكاء ترك كتابا كله ممحو بدموعه . وولد لجدي المهدي ثلاثة أولاد أبي محمد وعمي أحمد والحسين مات صغيرا . وأما عمي أحمد فكان عند سيدي عبد الرحمن ابن عجيبة يدرر [٢٥] الصبيان في مسجده .

حدثني أبي أنه بقي عنده سبع سنين يعلم أولاد السيد لله بلا شيء . ثم فرض له الشرط وزوجه ثم مات بالوباء الأولى مع سيدي عبد الرحمن ابن عجيبة في سنة واحدة سنة ست وخمسين ومائة وألف . وأما أبي فمات سنة ست وتسعين بتقديم التاء ومائة وألف . وكان رجلا صالحا صموتا خلويا لا يجلس في الغالب إلا وحده .

---

(٢٢) والله على كل شيء قدير

(٢٣) المخزن : (والسلطة) .

(٢٤) النيابة : المفوضية (أيام الاستعمار) .

(٢٥) يدرر : يعلم القرآن للأطفال (أصلها الدراري : الأطفال) .

مشتغلا بما يعنيه فقيرا من الدنيا يحرث مع الناس بالنهار . ويأتي بحزمة حطب يبيت يقرأ عليها القرآن لأنه لم يحفظه في صغره فندم عليه بعد كبره .

حدثني أنه كان ذات ليلة بائتا في عرصة [٢٦] الجامع فسمع في مسجد الخميس رجالا يقرؤون البردة . قال فذهبت لتنظر من هم فوجدت صفا من طرف المسجد إلى الطرف الآخر بعضهم لباسهم أخضر وبعضهم أبيض قال فأخذتني هيبة عظيمة فكلمني بعضهم فقال : سل ؟ فقلت نطلب القرآن العظيم . فقال : سل شيئا آخر ؟ فأخرست ولم أقدر أن أتكلم بشيء .

وحدثني أيضا قال : كنت ذات يوم نقرأ الحزب مع أبي يعني جدي المهدي - فسمعنا دقا فوق القرمود يدق ويسكت فعل ذلك مرارا فأخرج جدي المهدي يده وقال : ارفع ؟ فسكت ولم يزد .

وأما أمنا فهي رحمة بنت سيدي محمد عم أبي المذكور . وأمها رقية بنت مسعود ابن عجيبة وهي في قيد الحياة متعبدة ناسكة شديدة الخوف من الله تعالى . تقرأ الزروقية بكرة وعشية وتصلية ابن مشيش وأورادا أخر . مع عمارة جل أوقاتها بذكر الله حريصة على فعل الخير متخلقة بالجود والكرم والحلم والشفقة والرحمة على جميع الخلق تؤثر على نفسها وتعطي .

حدثتني أنها وجدت بعض النساء يتكلمن في ذات الحق تعالى بعضهن يقول : الله في السماء . وبعضهن يقول لا . قالت الله تعالى ليس في السماء ولا في الأرض أينما تظنه تجده . أو أينما تطلبه تجده .

وكنا ذات يوم نتذاكر ، ✽ أنا وأخي بمحضرها فقال أخي : لم يتكلم القوم على الجبروت الأسفل . فقالت هي بكلام قوي : معمر [٢٧] غير به - أي ما فيه إلا هو - فتبسمنا بالضحك . فقالت ما شأنكم ؟ فقلت لها : ما الذي قلت ؟ فقالت : لم أقل شيئا . ما قلت إلا كذا وكذا . فلم تتفطن لما نطقت به القدرة على لسانها . ثم ماتت رحمة الله عليها منتصف صفر [الخير] يوم الخميس ودفنت يوم الجمعة

---

(٢٦) عرصة : حديقة أو بستان .

(٢٧) معمّر : مملوء .

سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف . وقبرها مشهور بقرب زوجها المذكور وبالجملة فالصلاح في أسلافنا قديم . وأمّا العلم والتحقيق فما ظهر فينا إلا في هذا الزمان فلله الحمد وله الشكر على ما أولى وأجزل .

الفصـــــل الثانى

ذكر النشـــأة والتربية الحســـية

حدثتني الأم رحمها الله أني خلقت في مدة حصر المصطادي تطاون وذلك سنة ستين أو إحدى وستين ومائة وألف . والله أعلـم .

وحدثتني أنها كانت تقول في مدة حملها بي اللهم ارزقني ذرية صالحة تقول ذلك خلف كل صلاة . وفي رمضان الإجابة .

وحدثتني أيضا أنها كانت في حال تربيتي إذا جاء وقت الصلاة وتمكن الوقت نصيح عليها ونقول قومي تصلي فلا نزال نصيح عليها ونبكي حتى تقوم . فتجعلني في ظهرها وتذهب تصلي . ومنذ أخذت عقلي ما تركت الصلاة في وقتها قط فيما أعقل وكنت وأنا [صبي] نتوضأ لكل صلاة ونبل ثيابي . فقالت لي الأم خوفا من عفن الثياب : تيمم وصل . فعلمتني التيمم . فصليت بالتيمم أياما ظننت أن ذلك يصح مع وجود الماء . ثم ردتني إلى الوضوء . ولقد كنت وأنا صغير في المكتب نقوم في نصف الليل ونأتي المسجد الذي في المقابر عند ضريح سيدي عبد الله ابن عجيبة فنؤذن فيه ونجلس إلى صلاة الصبح وأنا حينئذ لا أحسن شيئا من القراءة . وكنت والحمد لله ألهمني الله الخلوة والوحدة لا ألعب مع الصبيان ولا ألتفت إلى ما هم فيه حتى كان بعض النساء يعاتبنني في ذلك . ويقول لي يافلان الوحدة إنما هي لله فقم تلعب مع الصبيان . فلا ألتفت إليهـــن .

وقد ألقى الله تعالى في قلبي محبة العلم وأنا في حال الصبا فقرأت القرطبية (٢٨) قبل ختم السلكة (٢٩) الأولى من غير أن أعرف اسمها غير أني رأيتها تتكلم في أحكام الصلاة . فقرأتها وكنت في صغري أرعى الغنم وأنا مشتغل بالقراءة فكنت نجد في [حال] رعايتها حفظا كبيرا .

---

(٢٨) للشيخ أبو العباس الأنصارى القرطبى [٦٥٦ هـ] .

(٢٩) السلكة : [القرآن] ستون حزبا .

وفي الحديث : « ما من نبي إلا وقد رعى الغنم » . وحكمتها تعليم السياسة واكتساب الرحمة والشفقة اللتين هما من شرط صحة الرئاسة فهي من عنوان الاقتداء وبشارة الاهتداء . فمكثت كذلك مدة قلما حفظت القرآن . سافرت لتصحيح القراءة وتعلم التجويد فمكثت في قراءته خمس سنين بعد حفظ السلكة .

وعمدة أشياخي في قراءة القرآن : جدي المهدي المتقدم . عليه حفظت السلكة . وكان رجلا صالحا صموتا خلويا مغفلا عن أمور الدنيا لا تجده إلا وحده تاليا أو مصليا أو مشتغلا بما يعنيه .

وقرأت أيضا على المقرىء المحقق سيد أحمد الطالب . والفقيه الصالح سيدي عبد الرحمن الكتامي الصنهاجي . والاستاذ المحقق سيدي العربي الزوادي . والفقيه الصالح سيدي محمد أشمل ومنه اتصلت بشيخنا السملالي على ما يأتي [ذكره] إن شاء الله .

[وكنت] أعطيت والحمد لله قريحة وقادة فكنت لا أعطل شيئا من الأيام . فإذا كان يوم الخميس اشتغلت بالكتابة أو قراءة المتون وكذلك أيام العواشر[30] لا أخليها من قراءة العلم . فقرأت مع قراءة القرآن مقدمة الأجرومية . والألفية . وابن عاشر[31] . والخراز[32] . وجزءا من حرز الأماني[33] وغير ذلك من التآليف .

وكنت إذا ذهبت إلى السوق في بعض الأيام ألتمس رجلا أكبر مني علما وسنا فنمشي معه فلا نزال نتذاكر في العلم إلى دخول السوق . فإذا دخلته اعتزلت في بيت وحدي لا أقدر أن أجلس مع أحد فإذا خرجت منه التمست رجلا كذلك نرجع معه . وإلا ذهبت وحدي . وقدم بي أبي وأنا صغير لمدينة تطاون بقصد زيارة

---

(٣٠) العواشر : العطل .

(٣١) مؤلف « المرشد المعين » (المتوفى سنة ١٠٤٠ هـ) .

(٣٢) لعله الخراز الفاسي (المتوفى ٧٠٣ هـ) وهو صاحب رجز مورد الظمآن في رسم القرآن .

للإمام الشاطبي (٥٩٠ هـ) ، وهي في القراءات السبع لأبي عمرو الداني [٤٤٤ هـ] .

علمائها . فما لقينا إلا الفقيه سيدي أحمد الورززازي رحمه الله . فرأيته رجلا قصيرا خفيف اللحم قليل اللحية رحمه الله تعالى وعفا عنه .

وكانت نشأتي والحمد لله في صيانة وحفظ ورعاية وعفاف لم يمر علينا ما يلحق حال الشباب من شعبة الجنون . بل عصمنا الله وحفظنا من المعاصي الكبار بعد الابتلاء والاختبار . فكم من امرأة تهيأت لنا وراودتنا عن نفسنا فحال الله بيننا وبينها بحفظه ورعايته فشبابنا كله نشأ في عبادة الله فله الحمد وله الشكر وله المنة والطول .

الفصـــــل الثالث

ذكر ابتدائي لطلب العلـم الظاهـر

ولما بلغت من العمر تسع عشرة سنة أو ثمان عشرة شرعت في قراءة العلم الظاهر وسبب ذلك أني كنت أقرأ القرآن في قبيلة بني مصور بمدشر دار الشاوي على الفقيه الصالح سيدي محمد أشمل وقد شهدت له بركة عظيمة في الفتح .

فلما كان ذات يوم راح إلينا الفقيه الصالح العالم الناسك سيدي محمد السوسي السملالي على قدر لما سبق في الأزل من صحبته وذلك أنه كان مقيما بالقصر الكبير يدرس العلم فلما قدم لأهله بقبيلة أنجرا مر بنا . فلما نزل عندنا وصلينا المغرب جلست بين يديه فما زلت أسأله عن مسائل العلم وأبحث معه إلى العشاء . فلما رأى قريحتي ولوعتي في العلم سأل عني . فقالوا له هو من أولاد ابن عجيبة . فقال : مثل هذا لا ينبغي أن يترك هنا أو كلاما نحوه . فقال لي : تذهب معي إلى القصر لقراءة العلم فثم من هو أصغر منك . فقلت له نعم وطاش عقلي من الفرح .

فلما سافر إلى داره لحقته ثم سافرت معه إلى القصر الكبير ومنذ خرجنا من قبيلة انجرا وأنا ملترق [٣٤] بركاب بغلته نسأله ونبحث معه في فنون العلم . فإذا رحنا عشية درنا عليه لقراءة الجرومية في الطريق كلها حتى وصلنا إلى القصر . فنزلت معه بالمدرسة التي قرب الجامع الأعظـم .

وفي مسجد المدرسة بيت كان يسكنه الفقيه الصالح العالم الناصح سيدي محمد الوريكلي الذي وقعت بينه وبين الرجل الذي ادعى أنه عيسى ابن مريم حكاية غريبة . وذلك أن الرجل أتاه الشيطان فقال له : قل أنا عيسى ابن مريم ونمدك بما تريد ! فدخل الجامع الأعظم وقال أنا عيسى !. فقالوا ما آيتك ؟ فقال : ما تريدون . فقالوا له : تأتينا بالطعام ؟ فنزلت الموائد . ثم قالوا له تشهد لك هذه

---

(٣٤) ملترق : ملتصق .

الصومعة فتكلمت بالشهادة له حتى انشقت . ولقد رأيت الشق بعيني . ثم ذهب إليه الفقيه المذكور فسأله عن أمر التوحيد فوجده جاهلا فلطمه وأمر بسجنه . ثم تاب على يده . وقد ذكرت الحكاية بطولها في ترجمته في كتابنا : أزهار البستان في طبقات الأعيان .

ولما اطمأن بنا الموضع اشتغلت بقراءة العلم ففنيت فيه فناء عظيما حتى أهملت نفسي ونسيت أمرها . فما كان يقول لي الفقيه إلا البُهل [٣٥] من شدة الغيبة عن نفسي . وكنا نقرأ عليه سبع مجالس بين الليل والنهار . وإذا كان الثلث الأخير من الليل أقامنا للتهجد فنتوضأ وندخل الجامع الأعظم . فيأخذ كل واحد منا سارية للتهجد حتى يقرب الفجر . ثم نرجع إلى المدرسة لقراءة العلم فكانت أوقاتنا كلها معمورة بين مطالعة ومدارسة وعبادة . فأقمت معه نحو عامين . ثم مرضت بالحمى . فقدمت [إلى] البلد . فأقمت فيه ما شاء الله .

ثم قدمت [إلى] مدينة تطاون سنة ثمانين أو إحدى وثمانين من القرن الثاني عشر فاشتغلت بقراءة العلم واستغرقت أوقاتي كلها فيه .

ثم لحقتني فاقة شديدة لأني استحييت أن أطلب معروفا من أحد فبقيت كذلك مدة . فكانت الوالدة ترسل لي الخبز من البلد ثم فتح الله بالخير الكثير . هذه سنة الله في خواصه كما قال الشاعر :

لاتحسب المجد تمرا أنت آكله   لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لكن حلاوة العلم ولوعته غيبت عني مرارة الفاقة . فأخذت العلم عن الفقيهين العالمين المدرسين سيدي أحمد الرشا وسيدي عبد الكريم بن قريش فلازمتهما سنين فكان مجلس الفقيه الرشا عند حل النافلة ومجلس الفقيه ابن قريش عند الضحى العالية إلى قرب الزوال فقرأت على الفقيه الرشا الألفية ومختصر خليل والسلم [٣٦] ومختصر السنوسي في المنطق والصغرى والكبرى والمقنع [٣٧] والخزرجية [٣٨] .

---

(٣٥) البهلي : أي مجنون أو مجذوب ، لايبالي بالدنيا ولا بالناس ، .
(٣٦) في المنطق للأخضري ، كتبه شعرا في ٩٤٣ هـ .
(٣٧) للشيخ أبي عمرو الداني .
(٣٨) لضياء الدين الخزرجي ، المتوفى في الاسكندرية سنة ٦٥٠ هـ .

وقرأت على الشيخ سيدي عبد الكريم بن قريش التفسير والبخاري مرارا ومسلما ومختصر خليل مرارا والرسالة [٣٩] وتحفة الحكام لابن عاصم [٤٠] ولامية الزقاق [٤١] والألفية مرارا وابن هشام المحاذي سردا وبحثا وتحقيقا ولامية الأفعال [٤٢] مرارا وجزءا من المغني [٤٣] والصغرى والكبرى ومختصر السنوسي . والسلم في المنطق . وتلخيص المفتاح [٤٤] في البيان . ومختصر السبكي [٤٥] في الأصول . والشفاء [٤٦] . والهمزية في مدح خير البرية [٤٧] .

وأخذت عن غيرهما أنواعا من العلم كالفقيه سيدي محمد الورزازي أخذت عنه التلخيص والسبكي . وشيئا من الألفية . ومختصر خليل .

وأخذت أيضا عن النحوي الشهير سيدي محمد العباس ألفية ابن مالك بحثا وتحقيقا . وقواعد ابن هشام .

وأخذت أيضا عن القاضي الشهير سيدي عبد السلام بن قريش تفسير القرآن العظيم . وشمائل الترمذي وغيرهما .

وجلست في حلقة الرجل الصالح الفقيه العلامة سيدي محمد غيلان مرة أو مرتين .

وفي حلقة العلامة سيدي علي شطير مرارا .

ولما قدم شيخنا الفقيه العلامة سيدي محمد الجنوي الحسني مدينة تطاون أخذت عنه مختصر خليل . والتلخيص . ومختصر السبكي . وورقات

---

(٣٩) في الفقه المالكي لابن أبي زيد القيرواني [٣٨٦ هـ] .
(٤٠) أبو بكر محمد بن عاصم الغرناطي [٨٢٩ هـ] .
(٤١) أبو الحسن علي التجيبي الزقاق [٩١٢ هـ] .
(٤٢) لابن مالك مكونة من ١١٤ بيتا .
(٤٣) لابن هشام .
(٤٤) مختصر كتبه أبو القاسم القزويني [٧٣٩ هـ] لكتاب مفتاح العلوم للسكاكي [٧٧١ هـ] .
(٤٥) جامع الجوامع لتاج الدين السبكي الشافعي [٧٧١ هـ] .
(٤٦) الشفا في تعريف حقوق المصطفى . للقاضي عياض [٥٤٤ هـ] .
(٤٧) للبوصيري صاحب « البردة » .

الخطاب [٤٨] في الأصول ، والبخاري مرتين ، وجزءا من مسلم ، والرسالة وحكم ابن عطاء الله في التصوف تبركا ، وأصول الطريقة للشيخ زروق في التصوف أيضا ، وجزءا من النصيحة الكافية [٤٩] ، وأخذنا عنه جزءين من تفسير القرآن العظيم .

وكانت قراءتي والحمد لله كلها ممزوجة بالعبادة ، لم نترك قيام الليل إلا نادرا ، وكنت نقسم الليل ثلاثا : ثلث للنوم ، وثلث للتهجد ، وثلث للمطالعة ، وكنت ألفت الوحدة ، فما كنت أسكن إلا وحدي للتفرغ للعلم والعبادة ، وما كنت نجلس في حلقة العلم إلا على وضوء والحمد لله .

ولما توفي شيخنا الجنوي [٥٠] ، رحلت إلى مدينة فاس ، فسمعت البخاري من شيخنا شيخ الجماعة العالم العلامة سيدي محمد التاودي ابن سودة [٥١] سردا مع نكت جيدة وتدقيقات حسنة ، وطُرف من حكايات الصالحين .

وأجازني إجازة عامة على ما سيأتي - إن شاء الله .

وأخذت علم الفرائض عن فرضي وقته العلامة المشارك سيدي محمد بنيس (بفتح الباء وتشديد النون المكسورة) وقرأت عليه أيضا جزءا من التسهيل [٥٢] ، وأجازني أيضا في سائر العلوم .

وجلست في حلقة التفسير للورع الزاهد سيدي أحمد الزعري أياما وفي حلقة التلخيص للحافظ الكبير النحوي اللغوي سيدي الطيب ابن كيران ، وزرت ثم صالحين أحياء وميتين .

ثم رجعت إلى تطاون ، فاشتغلت بتدريس العلم ، وذكر الله تعالى فردا وجماعة ، حتى أخذ الله بيدي بملاقاة الشيخ ، شيخنا العارف الرباني الفرد

(٤٨) شرح الحطّاب لورقات الإمام الجويني [٤٧٨ هـ] .

(٤٩) للشيخ أحمد زروق [٨٩٩ هـ] .

(٥٠) في سنة ١٢٠٠ هـ .

(٥١) المتوفى سنة ١٢٠٩ هـ .

(٥٢) لابن مالك في النحـو .

الصمداني سيدي محمد البوُزيدي الحسني . وشيخه قطب التربية النبوية . وأصل مادة الطائفة الدرقاوية على ما يأتي إن شاء الله.

ذكر سندنا في الحديث النبوي والفقه إلى رســـــول الله ﷺ

حدثنا الفقيه العلامة شيخ الجماعة بالمغرب سيدي التاودي بن سودة سماعا وإجازة صحيح البخاري من أوله إلى آخره . إلا ما شذ عن شيخه البركة سيدي محمد جسوس عن عمه أبي محمد عبد السلام جسوس عن شيخه سيدي عبد القادر الفاسي عن شيخه سيدي عبد الرحمن العارف عن شيخه القصار عن ولي الله رضوان بن عبد الله الجنوي عن سقين (بضم السين وقاف مخففة) العاصمي عن ابن غازي عن أبي عبد الله محمد بن أبي القاسم عن محمد بن عيسى بن أحمد السراج عن أبيه عن جده عن أبي البركات البلقيني عن أبي جعفر بن الزبير عن أبي الخطاب بن خليل عن أبيه عن أبي عبد الله ابن سعادة وفي أول نسخته :

بعد البسملة وبعد قوله : « باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ » . وقول الله تعالى : « إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده » .

أخبرنا الحافظ أبو علي حسين بن محمد بن فيارة الصدفي أخبرنا أبو الوليد سليمان ابن خلف الباجي . أخبرنا الشيخ أبو ذر الهُرويّ أخبرنا السرخسي والمستملي والكشميهني قالوا : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مطر الفربري قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري . قال : حدثنا الحميدي عن سفيان . قال : حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري . قال : أخبرنا محمد بن إبراهيم التيمي عن علقمة بن وقاص عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ حديث : « إنما الأعمال بالنيات » [٥٣] . ويقاس عليه غيره .

وكـــان من حق هذا السند أن يكتب على أول ورقة من المتن قبل بسملة البخـــاري . إذ هو سند نسخة ابن سعادة عن شيخه الصدفي إلى الشيخ

---

(٥٣) أخرجه البخاري في باب بدء الوحي ١ ، وفي باب الإيمان ٤١ ، وأبو داود في باب الطلاق [١١] ، والترمذي في فضائل الجهاد [١٦] ، وابن ماجه في الزهد [٢٦] .

البخاري . وكأن إدخاله بعد الترجمة والبسملة من بعض التلامذة الجهلة . والله أعلم . قاله شيخنا التاودي رحمه الله .

وقد نظم هذا السند فقال :

يا سائلي عن سند البخاري ما بين سامع وبين قاري
أرويه عن محمد جسوس عن عمه عبد السلام الجسوسي
عن شيخه الفاسي عبد القادر عن عمه عن الإمام الماهر
قصار عن رضوان عن سقين عن ابن غازي والسراج يدني
محمد عن أبيه عن جده عيسى عن البلقيني قل من بعده
ابن الزبير عن أبي الخطاب عن أبيه عن صاحب الكتاب
ابن سعادة روي عن صدفي يروي عن الباجي عالي الغرف
عن هروي مستملي عن فربري عن البخاري فاحفظنه وادْرِ

والجوسي في آخر البيت الثاني أحد أئمة الحديث شبهه . وسمعت البخاري أيضا مرتين من شيخنا المحقق سيدي محمد بن الحسن الجنوي عن شيخه العلامة سيدي التاودي المذكور .

وسمعته أيضا مرارا متعددة ما يزيد على سبع مرات من شيخنا المتفنن المفتي .

ثم القاضي سيدي عبد الكريم بن قريش سمعه هو عن شيخه سيدي التاودي المذكور وعن الورزازي الكبير بسند متصل بالبخاري .

وأما صحيح مسلم فأرويه عن شيخنا التاودي المذكور بعضه سماعا والباقي إجازة عن شيخه العلامة البناني الكبير . شارح الحزب الكبير وهو محمد بن عبد السلام البناني المكنى بالمحجوب . عن شيخه ابن الحاج عن شيخه سيدي عبد القادر الفاسي . عن عم والده سيدي عبد الرحمن العارف . عن الإمام القصار . عن سيدي رضوان . عن سقين . عن زكرياء . عن الزركشي . عن البياني . عن العسكري . عن المؤيد . عن الفراوي . عن عبد الغافر . عن الجلودي . عن الشيخ الصالح إبراهيم بن سفيان . عن الإمام مسلم .

وسمعته أيضا من شيخنا سيدي عبد الكريم بن قريش قراءة وبحثا فالله ينفع به الجميع

وأما سلسلتنا في الفقه إلى النبي ﷺ فاروية عن سيدي محمد الجنوي المذكور ، وسيدي عبد الكريم بن قريش وهما عن شيخ الجماعة سيدي التاودي عن سيدي محمد جسوس . عن العلامة أبي عبد الله المسناوي . عن ابن الحاج . عن سيدي عبد القادر الفاسي . عن عمه أبي زيد العارف . عن القصار . عن سيدي رضوان . عن سقين . عن ابن غازي . عن القدري . عن أبي موسى عمران الجاناتي . عن أبي عمران العبدوسي . عن عبد العزيز القروي . عن شيخه أبي الحسن الصغير وأبي الوليد راشد . عن أبي محمد صالح الهسكوري . عن أبي موسى البوناني . عن أبي القاسم بن بوشكوال . وأبي محمد بن عتاب . عن أبي محمد بن أبي طالب القيرواني . عن أبي محمد بن أبي زيد . عن أبي بكر بن اللباد . والابياني ودراس . والأبهري . عن يحيى بن عمر عن سحنون . عن ابن القاسم . عن مالك عن نافع عن ابن عمر . عن النبي ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم .

ذكر إجازة أشياخنا

أولها إجازة شيخنا العلامة شيخ الجماعة بالمغرب سيدي التاودي ابن سودة ونصها :

« الحمد لله رب العالمين وبه أستعين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النور الحق المبين وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد : فيقول أفقر العبيد وأحوجهم إلى رحمة مولاه الغني الحميد عبد الله سبحانه التاودي بن الطالب بن سودة المريّ نسبا . الفاسي منشئا ودارا . ان الفقيه الناسك العالم السالك أبا العباس سيدي أحمد ابن عجيبة سألني أن أجيزه فيما سمعه مني وأخذ عني وفي غيره ورغب إلي في أن أكتب له رجاء لبركته فأجبت رغبته ولبيت دعوته إسعافا لا إنصافا . فلست بأهل أن أجيزه . وإنما قضى الوقت برُقيّ الدون مرقى الأكابر . أجزت الفقيه المذكور في جميع ما يجوز لي وعني روايته من مؤلف وموضوع ومقروء ومسموع إجازة تامة مطلقة عامة بشرطها المعتبر . وقيدها

المقرر عند أهل الحديث والأثر حسبما حصل لي ذلك والحمد لله عن جمع كثير وجم غفير من العلماء الأعلام ومشايخ الإسلام ما بين قراءة وسماع ومناولة وإجازة ووجادة ومراسلة . والله تعالى يكون له ويبلغ كلاّ منّا من الدارين ما أمله .

ونص الثانية لشيخنا العلامة سيدي محمد بنيس الفاسي رحمه الله تعالى ورضي عنه :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد المصطفى الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

أحمد لله سبحانه وتعالى على متواتر إحسانه وأشكره جل وعلا على متواصل إنعامه وامتنانه . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . شهادة صحيح الاعتقاد . وأشهد أن سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله عظيم الجاه يوم يقوم الأشهاد . ﷺ وعلى آله أولي النهى والاعتماد ما شرفت هذه الأمة المحمدية بعلو الإسناد .

هذا وإني قد أسعفت الفقيه النجيب العلامة الأريب الماجد النبيل ذا الفهم والذكاء والتحصيل والشيم المستحسنة الغريبة العجيبة سيدي أحمد بن سيدي محمد بن عجيبة . متع الله بحياته الإسلام والمسلمين وأدام النفع به بفضل الله أكرم الأكرمين فيما رغب فيه من الإجازة لا لكوني أهلا لذلك بل لكونه أهلا للمزيد من الكمالات بالتنزيل للارتقاءات .

وقد قال ﷺ : « رُبَّ مبلغ أوعى من سامع [54] » . فلم يشترط استجماع الشروط بل السامع على وفق السماع . وصارت الإجازة التي هي نوع من التبليغ من القاصر للأوعى أمرا ذا اتساع .

فلذا أجزت الفقيه المذكور إجازة عامة شاملة في جميع ما يجوز لي وعني روايته . من مقروء ومسموع ومجاز . حسبما أخذنا ذلك عن عدة من شيوخنا المشارقة والمغاربة . يضيق تفصيلهم عنا . وقد سردنا معه أحاديث من كتب عديدة الستة

(٥٤) وجاء في صحيح البخاري « فإن رُبَّ مبلغ يبلغه من هو أوعى له » باب الفتن ، (٨) ، والعلم (٩) .

وغيرها . وقرأنا فرائض المختصر . ونبذة من تسهيل ابن مالك .

جعل الله ذلك خالصا لوجهه الكريم وسببا في الفوز بالمقر الأسنى في دار النعيم . بجاه مولانا محمد المصطفى الكريم عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

وكتبه عبد ربه محمد بن أحمد بن محمد بنيس الفاسي . كان الله له وليا ونصيرا ولجميع المسلمين . بتاريخ ١٢ شوال عام ١٢٠٣ هـ .

ونص الثالثة لشيخنا الفقيه الصالح سيدي محمد الورزازي كان الله لنا وله بمنه وكرمه :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله .

والحمد لله الذي شرع الإجازة . وأعد الأجر العظيم لمن استجاز . وبشر بالنضرة لمن وعى أحاديث نبيه ﷺ . وبلغها إلى أمته كما سمعها . ولهم بها أجاز . أحمده سبحانه وتعالى على ماخص هذه الأمة بحفظ الإسناد وحفظ دينها من زيغ أهل العناد وأشكره عز وجل على ما وصل إسنادنا بسيد الرسل الكرام الحنفا . وأصلي وأسلم على سيدنا محمد الذي خصه الله بحسن الأخلاق وكمال الوفاء وعلى آله وأصحابه الذين بلغوا إلينا أحاديثه كما سمعوها منه بالصدق والصفا . فكفى بنا فخرا أن صرنا في سلسلة أولها النبي المصطفى .

وبعد : فقد طلب مني الأخ الصالح والمحب الناصح الفقيه العلامة الفهامة سيدي أحمد بن محمد بن عجيبة الإجازة فأجزته بكل ما تصح لي وعني روايته وكل ما حصلت لدي درايته من مقروء ومسموع ومجاز ومفرق ومجموع إجازة مطلقة عامة بالشرط المعتبر عند أهل هذا الشأن من التقوى والصيانة وضبط الرواية وإتقان الدراية والتثبت والتنقيب عن أحوال الرجال بالرجوع إلى أئمة ذلك . مما هو مسطور بمحله متعارف مقرر عند أهله .

وأحلته على فهرستي التي وضعتها في مشايخي رحمهم الله تعالى ورضي عنهم . متضمنة لأسانيدهم سائلا من المجاز المذكور أن يتحفنا بخالص دعواته في خلواته وجلواته . عسى الله أن يجمعنا عليه ويفرد وجهتنا إليه . وأن يختم بالسعادة أجلنا . ويشرح بالمعرفة صدورنا آمين آمين يارب العالمين .

قاله وكتبه عبد الله الفقير المسكين المتمسك بعروته الوثقى وحبله المتين محمد ابن علي الورزازي وبتاريخ الثاني من جمادي الأولى عام أربعة عشر ومائتين وألف . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين . والحمد لله رب العالمين .

ذكر ما جمعناه من التصانيف
بحول الله وقوته

فمن ذلك شرح الهمزية . والبردة للبوصيري . وشرح الوظيفة الزروقية . وشرح الحزب الكبير للشاذلي أفاض الله علينا من بركاته . وشرح أسماء الله الحسنى . أفردت لكل اسم بابا . كما فعل القشيري في التحبير . وشرح المنفرجة لابن النحوي . وشرح تائية الجعيدي في كراس صغير . وتأليف في علم النية . فيه نحو خمسين بابا . وتأليف في ذم الغيبة ومدح العزلة والصمت . وتأليف في الأذكار النبوية عند الأحوال المختلفة . وتأليف في أربعين حديثا في الأصول والفروع والدقائق وتأليف في القراءات العشر مشتملا على آداب القراءة والتعريف بالشيوخ العشرة ورواتها وتوجيه قراءة كل واحد منها فيه عشرون كراسة صغيرة . وتأليف في طبقات الفقهاء . وذكر أرباب المذاهب والتعريف بهم . والتعريف بمشاهير أصحاب مذهب مالك من زمانه إلى زماننا . هذا على ترتيب وجودهم كل قرن وحده إلى وقتنا هذا . ثم أتبعتهم بذكر النحويين والمحدثين والصوفية . غير أن الصوفية لم نستكمل ذكرهم .

وابتدأت حاشية على مختصر خليل . وشرحا على الحصن الحصين فلم يكملا . ثم شرحت بعد ملاقاة الشيخ حكم بن عطاء الله . والمباحث الأصلية . وتصلية القطب ابن مشيش . وشرحت فاتحة الكتاب بشرحين بل ثلاثة : أحدها صغير فيه نحو كراسين . والآخر كبير فيه نيف وعشرون كراسا صغيرة . وآخر صغير جدا فيه نحو ورقتين .

ثم فسرت كتاب الله العزيز من أوله إلى آخره في أربع مجلدات كبيرة . جمعت فيه بين عبارة أهل الظاهر . وإشارة أهل الباطن . سميته . البحر المديد في تفسير

القرآن المجيد [٥٥] .

ثم شرحت خمرية ابن الفارض التي قال في أولها :

* شربنا على ذكر الحبيب مدامة *

وشرحت قصيدة الرفاعي التي أولها : يامن تعاظم . وبعض مقطوعات الششتري .

ثم شرحت قصيدة شيخنا الرائية في طريق السلوك .

والفت كتابا في القضاء والقدر ألفته في زمن الوباء .

ثم شرحت أبيات الجنيد « توضأ بماء الغيث . الخ » [٥٦] .

وألفت كتابا صغيرا في الخمرة الأزليــة .

وكتابا آخر في الطلاسيم التي حجبت عن التوحيد الخاص .

وشرحت تصلية ابن العربي الحاتمي .

ثم شرحت نونية الششتري في أربعة كراريس صغار .

ثم ألفت كتابا في حقائق التصوف فيه ثلاثة كراريس .

ثم شرحت تائية شيخنا في الخمرة الازلية وما يوصل إليها في ثمانية كراريس صغار أو سبع .

ثم أعدت شرحا آخر عليها فيه اثنا عشر كراسا ونصف صغار .

ثم شرحت الأجرومية جمعت فيه بين النحو والتصوف عبارة وإشارة كصناعة التفسير .

ثم وضعت حاشية مختصرة على الجامع الصغير للإمام السيوطي .

ونظمت قصائد وتوشيحات في فن الخمرة الأزلية وما يرجع إليها جمعت في ديوان مستقل بعضها في تفسير الملك والملكوت . وبعضها في شأن النفس والعقل والقلب

---

(٥٥) هذا التفسير من أجل كتب التفسير ولم يظهر في مصر غير الجزء الأول والثاني وياحبذا لو ظهر كاملا .

(٥٦) وتنسب عادة إلى الشيخ الأكبر ابن عربي .

والروح والسر . وما يتعلق بذلك وسيأتي ذكرها في آخر الكتاب إن شاء الله . كسا الله الجميع في جلباب القبول . وبلغنا من معرفته والوصول إليه القصد والمأمول أمين .

ذكر انتقالنا إلى العمــــل والتجرد للعبـــادة

اعلم أن ثمرة العلم العمل وثمرة العمل الحال وثمرة الحال الذوق وثمرة الذوق الشرب . وبعد الشرب السكر . وبعد السكر الصحو . وبعد الصحو تمام الوصال . وهو التمكين والرسوخ في المشهود . فعلم بلا عمل وسيلة بلا غاية . وعمل بلا حال سير بلا نهاية . وحال بلا ذوق خذلان . وذوق بلا شرب حرمان . وشارب بلا سكر عطشان . وسكر بلا صحو نقصان . وصحو بلا وصول سكره مدخول . وهذه الأحوال لا يفهمها إلا أهل الأذواق بصحبة أهل الأذواق وبالله التوفيق .

ولما حصلنا بفضل الله ما قسم الله لنا من العلم الظاهر انتقلنا إلى التهيؤ للعلم الباطن . وهو العمل بالشريعة الظاهرة إذ لا ينتقل العمل للبواطن حتى تستقيم الظواهر . إذ الشريعة باب والحقيقة باب وسبب انتقالنا من العلم إلى العمل . أني وجدت نسخة من الحِكَم لابن عطاء الله عند بعض الأصحاب . فنسختها ثم طالعت شرح ابن عباد فلما طالعته زهدت في العالم الظاهر . وانتقلت إلى العبادة والتبتل لذكر الله والصلاة على رسول الله ﷺ . ثم حببت إلي الخلوة وأبغضت الدنيا وأهلها .

فكنت إذا أقبل إلي أحد فررت منه . فلما رأى ذلك مني أخي ذهب إلى الوالد . فقال له : ان أخي أخذه وسواس فترك القراءة . واشتغل بالعبادة واعتزل الناس إذا رأى أحدا فر منه فلا يأوي إلى أحد . فجاء إلي أبي فوجدني متوجها إلى القبلة نذكر الله فلما دخل علي قمت فسلمت عليه ثم رجعت إلى الذكر ولم أزد معه شيئا .

فقال لي كنا ذات يوم عند الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن عجيبة . فقال لنا : ما ترون هل العالم أفضل أو الولي : فسكتنا . فقال ويل بوه العالم أفضل

[كذا] . ومدّ عليه . وإنما حكى لي ذلك ليرغبني في العلم ويحلني من ذلك التبتل .

فقلت : له أما العلم الذي نحتاج إليه فقد قرأته . وما أريد أن أكون قاضيا ولا مفتيا . ولا أزيد على ما قرأت شيئا والله لا أرجع عن هذا أبدا . فقال لي : الله يعينـك .

وقول سيدي عبد الرحمن : العالم أفضل . هو على مذهب أهل الظاهر . وقد ذكر ابن زكري [٥٧] في شرح النصيحة [٥٨] خلافا كبيرا بين العلماء أيها أفضل هل الولي أو العالم : فرجح عند بعضهم أن العالم أفضل لعموم نفعه . وليس كذلك . ومنشأ الغلط عدم التمييز بين الولي والصالح فلعله عندهم شيء واحد وليس كذلك .

فالولي هو من ارتفع عنه الحجاب حتى دخل مقام الشهود والعيان وفتحت له ميادين الغيوب . فلم يحجبه عن الله شيء .

والصالح من صلحت ظواهره بالتقوى وعمر أوقاته بالطاعة . فلا شك أن هذا العالم أفضل منه .

وأما الـولي الـذي ارتفـع عنه الحجاب فلا أحد أفضل منه إلا مقام النبوءة والرسالة . لأنه في مقام الصديقية التي تلي درجة النبوءة .

ولعل هذه الدرجة هي التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام بقوله : « من مات يطلب العلم ليس بينه وبين النبوءة إلا درجة واحدة » [٥٩] .

فتكـون الـدرجـة التي بينـه وبـين النبـوءة هي درجـة الـولايـة . وهي درجة الصديقين . فالمقامات أربعة :

مقام الرسل والأنبياء . ثم الأولياء . ثم العلماء والشهداء . ثم الصالحـون .

قال الجنيد رضي الله عنه : « لو نعلم تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي

---

(٥٧) المتوفى في فاس سنة ١١٤٤ هـ .

(٥٨) النصيحة لأحمد زروق .

(٥٩) اخرجه أبو داود في المقدمة ٣٢ .

تتكلم فيه مع أصحابنا ـ يعني علم الباطن ـ لسعيت إليه ولو حبوا » . وكان كثيرا ما ينشد :

علم التصوف ليس يدركه إلا أخو فطنة بالحق معروف
وليس يبصره من ليس يشهده وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

وقال في « الإحياء » لما تكلم على معرفة الله والعلم به قال : « والرتبة العليا في ذلك للأنبياء ، ثم للأولياء العارفين . ثم للعلماء الراسخين . ثم للصالحين » . فقد قدم الأولياء على العلماء .

وقال القشيري في رسالته : « فقد جعل الله هذه الطائفة صفوة أوليائه . وفضلهم على الكافة من عباده بعد رسله وأنبيائه » . هـ .

فسئل ابن رشد عن قول القشيري والغزالي حيث قدم الأولياء على العلماء هل هو صحيح ؟ فقال ما قاله الأستاذ والغزالي متفق عليه ولا يشك عاقل أن العارفين بالله وما يجب له من الكمال . أفضل من العارفين بأحكام الله .

قال لأننا رأينا الفسق في العلماء كثير . بخلاف الأولياء .

ثم أطال الكلام في ذلك . نقله في : المعيار[٦٠] . وقد نقلته بتمامه في شرح المباحث حيث قال :

إن العلوم في مقام البحث وإن الولاية في مقام الإرث

وقال فيها أيضا :

حجة من يرجح الصوفيه على سواهم حجة قويه[٦١]

وليس التفضيل عند المحققين بكثرة الأعمال كانت عامة أو خاصة . إنما التفضيل عندهم بقوة اليقين وتحقيق المعرفة برب العالمين . وكشف الحجاب . ومحو الشكوك والأوهام والاضطراب . فهذا يحصل القرب من رب الأرباب .

---

(٦٠) المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء افريقيا والأندلس والمغرب للونشريسي التلمساني [٩١٤ هـ] .

(٦١) انظر الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية له ، القاهرة ، الجزء الأول ، ص ٩٨ وما بعدها .

وأما عموم النفع فقد يحصل ممن لا مقام له عند الله . قال ﷺ : « إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر » .

ثم نرجع إلى ما كنا بصدده في الفهرسة من ذكر وقت التبتل والعبادة . وإنما ذكرنا هذه المسئلة . لقول الرجل الصالح سيدي عبد الرحمن بن عجيبة : العالم أفضل . فيظن من لا تحقيق عنده أنه صحيح فذكرنا التحقيق في المسئلة والحديث شجون .

فأقول لما حببت إلينا الخلوة كنت أخرج إلى قبة سيدي طلحة أتعبد فيها ومرة أخرج إلى قبة سيدي عبد الله الفخار فأتعبد فيها وكنت أسكن في القرية التي بنيت هناك للرجل الصالح العالم الناصح سيدي علي بركة . فكنت أصلي في الضحى نحو خمسة عشر حزبا من القرآن وفي الليل كذلك . ولا أفتر من ذكر الله ليلا ولا نهارا فبقيت كذلك أياما . فرأيت سيدي طلحة في النوم وأنا عند ضريحه فانحنى علي حتى مس شعر لحيته وجهي . فقلت في نفسي نشاوره في هذا الأمر الذي أريد وكنت عزمت على بيع الكتب والطلوع إلى جبل مولاي عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه للتعبد . فلم يكن قدر الله ذلك . فقلت له ياسيدي إني أريد أن أترك العلم وننقطع للعبادة والتبتل . فقال لي اقرأ فقلت له العلم ، فقال لي نعم اقرأ العلم غاية غاية . فرجعت لطلب العلم . ولكن كانت الروح شورت إلى مولاها . فكان القلب كله مع الله . فكنت أجلس في حلقة العلم أدبا مع الشيخ الذي أمرني بالعلم ولا ندري ما يقول المدرس . شغلا بذكر الله . فبقيت في الصلاة على رسول الله ﷺ مدة حتى حفظت دلائل الخيرات [٦٢] على ظهر قلبي ثم ظهر لي أن الصلاة عليه ﷺ في السبحة أقرب للحضور فكنت أصلي عليه عددا كثيرا . فكنت إذا استغرقت في الصلاة على رسول الله أشرقت علي أنوار وظهرت لي زخارف وقصور وخوارق . فنعرض عن ذلك . وقد رأيته عليه الصلاة والسلام في النوم مرارا .

ثم حبب إلي القرآن العظيم . فكنت لا أصبر عنه وكنت أقرأ في الصلاة قائما . فإذا ضعفت صليت جالسا . وربما ختمت في الشهر أربع عشرة ختمة . ثم قرأته

---

(٦٢) الإمام الجزولي [٨٧٠ هـ] .

باللوح فقرأت رواية المكي والبصري ، وبدأت السبع فلم أدركه . وكنت لا نقرأ في اللوح حتى نطالع التفسير ونفهم المعنى فبقيت كذلك مدة إما ثلاث سنين أو أربع .

ثم تزوجت سنة ثلاث وتسعين ومائة وألف زوجتي الأولى رحمة بنت السيد أحمد الجعيدي من نسل الولي الشهير سيدي علي الجعيدي . وسيأتي ذكر الزوجات الباقيات إن شاء الله .

ثم جلست لتدريس العلم الظاهر مع الاجتهاد المذكور . فبقيت كذلك خمس عشرة سنة أو ست عشرة . وقد حصل التدريس مني في مدينة تطاون في سبعة مواضع في جامع القصبة . وفي جامع الجعيدي [٦٣] . وفي مسجد الساقية الفوقية . وفي زاوية ابن ناصر . وفي زاوية احنصل . وفي زاوية ابن مرزوق . وفي زاوية سيدي السعيدي . وفي مواضع أخر بعضها قبل ملاقاة الشيخ . وبعضها بعد ملاقاته . فانتفع بنا والحمد لله في العلم خلق كثير . وتاب على أيدينا بشر كثير .

ولقد كنت رأيت الشيخ أبا الحسن الشاذلي رضي الله عنه في النوم وأنا صغير حين شرعت في قراءة العلم . فقال لي الزم فوالله ليأخذن عنك العلم أربعة وأربعون عالما . وهذا والله أعلم في العلم الظاهر . وأما علم الباطن فلا يحصون والله أعلم .

وكنت جلست للتدريس سنة تسعين أو إحدى وتسعين ومائة وألف .

والتقيت بالشيخ وأخذت عنه علم الباطن سنة ثمان ومائتين وألف والله تعالى أعلم .

ذكر انتقالنا لعلم البـــاطن

اعلم أن علم البـاطن مداره على تصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضـائـل . فإذا تطهرت من الـرذائل وتحلت بالفضائل أشرقت عليها الأنوار

---

(٦٣) في تطوان حيث دفن العارف بالله الجعيدي [١٠٣٢ هـ] .

ولاحت لها الأسرار . فتكاشف بالحقائق العرفانية والأسرار الربانية . فيعثر صاحبه على معرفة العيان وينال مرتبة مقام الإحسان . فهذا محصل علم الباطن .

ثم نرجع إلى ما كنا بصدده من الفهرســة .

فنقول ولما رجعت إلى فاس المرة الثالثة لزيارة الأشياخ الذين أخذت عنهم العلم الظاهر . جزت في رجوعي على بني زوال لملاقاة الشيخ مولاي العربي . وسيدي محمد البوزيدي رضي الله عنهما .

فلما قدمت عليهما فرحا بي فرحا شديدا ونظرا إلي نظرة تغني فلقيت أولا سيدي محمد رضي الله عنه . فقال لي بمجرد لقيته : جعلك الله كالجنيد [٦٤] يتبعك أربع عشرة مائة مرقعة [٦٥] . أو قال لي : تكون كالجنيد . لا أدري أيهما قـال .

ثم ذهب بي إلى مولاي العربي فلما زرته قال لي : جعلك الله كالجيلاني [٦٦] . فقال له سيدي محمد : أنا قلت له كالجنيد . فقال : يجمع بينهما إن شاء الله . فوجدت لدعائهما بركة عظيمة وبركة كبيرة . فبقيت عندهما ثلاثة أيام نتذاكر في العلوم وأسرار التوحيد فأعطاني التجيبي [٦٧] نطالعه . وشرح الرائية [٦٨] ننسخه . فلما أردت الانصراف قلت للشيخ مولاي العربي : أنا من أصحابك . فقال لي مرحبا بك . لكني لم أطلب منه تلقين الورد . لأني كنت سمعت بفاس أن سيدي علي الجمل لم يكن له ورد إلا الصحبة .

فانصرفت إلى تطاون وأنا أحس من نفسي قوة عظيمة وجمرة قوية حتى أحس بها الناس . فكانوا يقولون جاء فلان في هذه المرة في حالة أخرى غير ما كنا نعرف . فجعل شيخنا سيدي محمد الوزيدي الحسني رضي الله عنه يكاتبني ويحضني على الصحبة والوصول . فكان مما كتب به إلي : إن أردت مفاتح العلوم ومخازن الفهوم فعليك بالقدوم .

---

(٦٤) شيخ الطائفة المتوفى سنة ٢٩٨ هـ .

(٦٥) أي الباس الزهد والفقر

(٦٦) سيدي عبد القادر الجيلاني [٦٥١ هـ] .

(٦٧) ابن البنا التجيبي المتوفى في فاس سنة ٨٤١ هـ .

(٦٨) ليوسف الفاسي [١٠٢١ هـ] على رائية الشريشي [٦٤١ هـ]

ويقول لمن يقدم عليه من فقراء تطاون والله إن حاجته لعندي . فليقدم علينا . فلم يقدر لي ذلك . حتى قدم علينا بنفسه رضي الله عنه فلقنني الورد . ثم نهضت على يده جزاه الله عنا أحسن جزائه .

ولما لقنني قلت له : أنا بين يديك افعل بي ماشئت . فقال : تبارك الله عليك . ثم التفت إلى بعض أصحابه فقال لهم : سيدي أحمد متصف بالزهد والورع والتوكل والصبر والحلم والرضى والتسليم والشفقة والرحمة والسخاء والكرم . حتى عد نحو اثنى عشر مقاما . فقلت له ياسيدي هذا هو التصوف . فقال هذا تصوف الظاهر وبقي تصوف الباطن ستعرفه إن شاء الله .

ثم جعلت أزوره وأتردد إليه تارة بغمارة . وتارة ببني زروال . حتى فتح الله علينا بالفتح الكبير . فلله الحمد وله المنة والطول . لا أحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه .

ذكر خدمتنا للشيخ بنفسنا ومالنا

اعلم أن خدمة المشايخ وصحبتهم هي سبب الظفر بالسر الأكبر وما نال أحد مرتبة من مراتب الولاية إلا بالصحبة والخدمة . إلا من سبقت له مجاهدة كبيرة . مثل ملاقاة الشيخ كالشيخ الشاذلي وأمثاله فتكفيه الملاقاة وبعض الصحبة وقليل ما هم . مع أن الشاذلي ما تكمل إلا بالمشرف على يد رجلين وامرأة . كما قال الطرطوشي : ولا يكمل الرجل كمال الرجال إلا بخدمة الرجال كما قال سيدي عبد الوارث رضي الله عنه حيث قال :

خدمة الرجال سبب الوصال
لمولى الموال لا إله إلا الله

وانظر قضية التباع والغزواني . وسيدي عبد الله الوزاني وغيرهم من الأولياء والصالحين ما نالوا مرتبة الولاية وكمال الصلاح . إلا بخدمة مشائخهم .

وكذلك حال شيخنا رضي الله عنه . بقي خادما على باب شيخه ستة عشر عاما أو نحوها .

وكذلك شيخه قال رضي الله عنه : بقيت في صحبة شيخي سيدي علي رضي

الله عنه بفاس سبع سنين . ورحلت إلى بني زروال . فبقيت نتردد إلى زيارته سبع سنين كان يقدم عليه مرتين في السنة . فيقدم عليه في الزيارة ببقرتين للخليع وحملين من الزبيب وحمل من البلوط .

وأما أنا عبد الله فلم تمكن لي الإقامة معه للقيام بالعيال وسياسة الفقراء . فكنت نتردد إليه في الزيارة لبني زروال فنقيم معه ما شاء الله . ثم يرسلنا . فكان يقول لنا : ترددكم إلينا في الزيارة متعطشين أنفع لكم من الإقامة معنا .

ولما رحل لزاويته بغمارة جعلت أتردد إليه في الزيارة هناك وأقيم معه أياما نتفنن في العلوم اللدنية والأسرار الربانية . فأنا الذي بنيت غرفته التي يسكن فيها والكتينه [٦٩] والحمام . وذلك لما زرت معه مولاي عبد السلام رضي الله عنه مع جماعة من الفقراء . ونظر إلي وقال : نحبك أنت والحاج أحمد البسيري تبنون لي الدار بغمارة فلما قدمنا من الزيارة . قال الحاج أحمد : أنا لا نقدر على شيء . فذهبت أنا بأربعة من المعلمين اثنين يبنيان واثنين يصنعان القرمود . فأسسنا الدار وبنينا المدخل والاروى [٧٠] وفوقهما الغرفة التي يسكنها الشيخ . ثم بنينا بيت النار والحمام . فبقي الصناع هناك نحو الشهر . فناب البناءين من الأجرة ست وثلاثون مثقالا . والأخيرين أربع وعشرون مثقالا . وكنت دفعت في قطع الخشب تسع مثاقيل فناب الجميع تسع وستون مثقالا . فبعت بعض الكتب وتسلفت الباقي . فخلص الله الجميع .

فبنى الله لي في مقابلة ذلك ثلاثة ديار دارا ببني سعيد . ودارا بقبيلة أنجرا . ودارا بفحص طنجة . غير أن التي بالفحص لم يوافق الشيخ على سكناها . فخربت . وهذه عادته تعالى فيمن خدم أولياءه أن يعطيهم أكثر مما يعطوا .

ولما قدم لزاويته أرسلني أخطب له من شيخه . فامتنع وقال : لم تكن صحبتنا لهذا الأمر . واعتذر بأنه كان خطبها منه ابن عمه .

ثم خطب له ابن عمه سيدي محمد بن علي بوزيد من الشريف الرهوني .

---

(٦٩) الكتينة : المطبخ .

(٧٠) الاروى : الاصطبل

فجهزنا له أنا وأخي بمائة وأربعين مثقالا وصحفة من القمح وثور وما يقيم ذلك . فلما قدمنا بها وأردنا الانصراف ، رفع يديه مع من حضر من الفقراء فقال : بارك الله فيكم وفي ذريتكم وأولاد أولادكم ومن تعلق بكم إلى يوم القيامة .

وكنت سمعت هاتفا حين كنا نشتري له الكسوة يقول : اصبروا فدعوة منه تخدم عليكم وعلى أولادكم . فكانت تلك الدعوة التي ذكرنا .

ثم بنينا العين في دار شيخه ببني زروال فدفعت خمس مثاقيل للشيخ دفعها للمعلم .

ثم بنينا المسجد الذي ببني زروال أنا وأخي . خدمنا فيه بأنفسنا وأموالنا وحملنا الخشب من غمارة على عواتق إخواننا .

ثم بنينا ضريح سيدي يوسف الدرقاوي . فنال الفقراء من ذلك مشقة كبيرة . وذلك سبب ربحهم وراحتهم .

ثم لم يزل يرسل إلي وإلى أخي في حوائجه ومآرب داره . فنقوم بها بحول الله وقوته . فجل زاويته قائم بنا والحمد لله .

هذا في عالم الحكمة وأما في عالم القدرة . فما ثم إلا الله الحي القيوم . فلا شيء معه أصلا . فهو الذي يقوم بأمر عباده . وخصوصا أمر أوليائه .

لكن الأمر كما قال في الحكم [٧١] : إذا أراد أن يظهر فضله عليك خلق فيك ونسب إليك . وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ذكر سياحتنا في بداية أمرنا
للذكر والتذكير

ولابد للفقير من السياحة في بدايته لأن السفر يسفر عن العيوب ويُظهر النفوس والقلوب . ويوسع الأخلاق . وبه تتسع معرفة الملك الخلاق . لأن المسافر كل يوم

---

(٧١) في الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندري حكمة رقم ١٢٣ .

يشاهد تجليا جديدا . ويلقى وجوها لا يعرفها ولا يأنس بها . فتتشحر [٧٢] معرفته بذلك . وتتسع معناه .

وقد قالوا : الفقير كالماء إذا طال مكثه في موضع واحد تغير وأنتن [٧٣] . قال شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل رضي الله عنه : أقل السياحة أربع عشرة سنة هـ .

والظاهر أن غايته التمكين من شهود الحق . وهو متفاوت على قدر الاجتهاد والقريحة . فمنهم من يتمكن في أربعة عشر . ومنهم قبل ذلك . ومنهم بعد ذلك والله يؤتي فضله من يشاء والله واسع عليم .

ولما فتح الله علينا في علم الحقيقة أذن لي الشيخ في الخروج إلى تذكير عباد الله وتلقين الأوراد . فخرجت في جماعة من الفقراء فبتنا أولا عند أولاد الشاط . ثم سرنا في قبيلة انجرا نذكر الناس وتلقن الأوراد مدشرا مدشرا . والناس يدخلون في دين الله أفواجا . ثم خرجنا إلى فحص طنجة . وسرنا فيه كذلك والفقراء في غاية السكر والقوة . فلما وصلنا إلى البحر عاموا كلهم بثيابهم . وكان الوقت أيام الليالي [٧٤] . فبتنا في مدشر العوامة بعد ذلك العوم الحسي والمعنوي فدخل في طريق القوم . ونحن فيه نيف وأربعون رجلا .

ومررنا بالفقيه الصالح سيدي محمد بن عبد الله السريفي في مدشر دار أزهيرو . ثم مررنا بمدشر شراقة وبذريون . ثم إلى بحراين . والناس يتوبون إلى الله ويرجعون إليه أفواجا . فانقلب الفحص كله يذكر الله . وعلقت الناس التسابيح في أعناقهم . ودخل معنا كثير من أصحاب المخزن . وعلقوا التسابيح . وتابوا إلى الله .

ولما رأى ذلك عامل طنجة كتب إلى السلطان سليمان يقول له : إن رجلا يقال له الفقيه ابن عجيبة خرج إلى الفحص فانقلب الفحص كلهم فقراء وعلقوا

---

(٧٢) تتشحر : تتركز أو تختمر .

(٧٣) أنتن : أصبحت له رائحة كريهة .

(٧٤) الليالي : فصل الشتاء القارس .

التسابيح في أعناقهم وتركوا العسة [٧٥] .

فقال له : علق أنت التسبيح معهم واذكر الله . هكذا بلغني فالله أعلم .

فاجتمع معي من الفقراء مائة وعشرون . واهتزّ الوجود من ذلك الفيض . وشاع خبرنا شرقا وغربا . وحيي الدين بإذن الله . وكثر اللهج بذكر الله والحمد لله .

ثم رجعنا إلى قبيلة انجرا وذهبنا إلى ناحية سبتة نذكر الناس مدشرا مدشرا حتى بلغنا إلى مدينة سبتة . فهبطنا تحت الشبر قريبا من سور المدينة . فقعدنا هناك حلقة الذكر . وخرج النصارى راكبين وراجلين فتبعنا نصرانيان منهم مجذوبان حتى إلى دار بيضاء فوقفا حتى غبنا عنهما .

ثم مررنا بالجانب الآخر من القبيلة حتى خرجنا إلى عين الصغير ومررنا ببني عتاب .

ثم رجعنا إلى دارنا بتطاون . فتركنا في تلك السفرة نحو ثلاثين مدشرا كلها تذكر الله جماعة بمقدّمها .

ثم خرجت في العام الثاني فخرجت إلى حوز تطاون من ناحية البحر فبدأنا بمدشر بني سالم وصلنا إليه ليلا . فهربوا منا وسدوا باب المسجد حتى انصرفنا عنهم . ثم تابوا وأمرونا بالرجوع إليهم . فلم يأت إلينا منهم غير رجل واحد .

ثم مررنا على تلك المداشر نعلمهم الدين ونذكرهم الله . ولما وصلنا إلى مدشر واد الزرجون رمونا بالحجارة وصفروا علينا فضرب الحجر واحدا من الفقراء على كتفه . ونحن نذكر الجلالة لا نلتفت إليهم حتى وصلنا إلى جامعهم فبتنا عندهم فلم يأت منهم إلا القليل .

ثم مررنا على الكوف وخرجنا إلى قبيلة انجرا فذكرنا وعلمنا ما كان بقي منهم .

ثم خرجت مرة أخرى إلى قبيلة انجرا مع فقراء غمارة وسربة كبيرة من فقرائنا . فلما وصلنا إلى أولاد أبي العيش منعونا أولا من الوصول إليهم . وتلقانا بعضهم

---

(٧٥) العسة : الحراسة (من شرطة ودرك وغير ذلك) .

بالعكاكيز . ثم أتى عقلاؤهم فأنزلونا في ديارهم وأكرمونا . فذكرناهم الله فتابوا ورجعوا وندموا على ما فعل سفهاؤهم .

ثم قدمنا إلى القائد فنجع فمنعنا أولا أصحابه ثم خلوا سبيلنا فبتنا في المسجد فوجدناهم قد خلوا [٧٦] حصوره وتركوه أرضا بيضاء فأرسل القائد العشا . ثم أرسل إلي أنا وأخي تقدم إليه لداره . فذهبنا فذكرناه وعلمناه ما شاء الله من أمر دينه . ثم سافرنا عنه .

فمررنا بزاوية أولاد الجعيدي وفيه لقنت أخي علم الحقيقة فبقينا ما شاء الله في القبيلة نذكر الناس . ثم رجعنا إلى بلادنا .

ثم خرجت في العام الثالث إلى ناحية الفحص . ثم وصلت إلى مدينة أصيلا والعرائش . ودخل هناك سربة من الفقراء في الطريق .

ثم زرنا الولي الصالح مولاي بوسلهام . ثم وصلنا إلى المهدية .

ثم قدمنا إلى مدينة سلا والرباط فأقمنا عندهم مدة . فقرأت معهم خمرية ابن الفارض وتصلية القطب ابن مشيش . وعمرنا عندهم أسواقا كبيرة بذكر الله . فأفدنا واستفدنا .

ثم رجعنا إلى وطننا . ثم خرجت إلى قبيلة بني سعيد وقد كنا نمر عليهم في زيارتنا للشيخ . ودخل منهم خلق كثير في طريق القوم .

ثم قدمت إلى بني حسان مرارا . كنا إذا رجعنا من بني زروال نمر عليهم . فدخل منهم في الطريق خلق كثير . فبنوا هناك زاوية في تسلان يجتمعون فيها . وقد وصلنا إلى مداشر كثيرة من بني حسان فأحياهم الله ونورهم بذكره . وتخلصوا من كثير من تلك البدع التي كانت عندهم على أيدينا « الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله » [٧٧] .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : « لأن يهد الله بك رجلا واحدا خير لك مما

---

(٧٦) خل حصوره : جمعها وترك الأرض عارية .

(٧٧) سورة الأعراف : آية ٤٣ .

طلعت عليه الشمس وغربت »[٧٨] . كما في الجامع الصغير .

وفي رواية البخاري : « خير لك من حمر النعم » .

وقال عليه السلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . وعلم بثه في صدور الرجال . وولد صالح يدعو له بعد موته »[٧٩] .

وفي تفسير قوله تعالى : « ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا »[٨٠] أي ومن أحياها بالعلم واليقظة .

وقال بعض الشعراء في هذا المعنى :

والمرء في ميزانه أتباعه ... فاقدر إذا قدر النبي محمد

وبالله التوفيق وهو الهادي إلى سواء الطريق . وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

ذكر ما ارتكبناه في سيرتنا من الأحوال
وما لقينا من الأهوال في طريق الوصال

اعلم فهمني الله وإياك سبيل أوليائه . وسلك بي وبك مسلك أصفيائه . أن طريق السير لابد فيها من خرق العوائد واكتساب الفوائد ومجاهدة النفوس لتدخل حضرة القدوس . « كيف تخرق العوائد . وأنت لم تخرق من نفسك العوائد »[٨١]

« لولا ميادين النفوس ما تحقق سير السائرين[٨٢] » . فما تميزت العموم من الخصوص إلا بمجاهدة النفوس . وأعظم العوائد التي يجب خرقها على النفس العز والمال . فيبدل العز بالذل . والغنى بالفقر . فالذل والفقر بابان عظيمان للدخول على الله والوصول إلى حضرته .

قيل لأبي يزيد من قبل الحق تعالى من جهة الهاتف : يا أبا يزيد خزائننا معمورة

---

(٧٨) الجامع الصغير للسيوطى ، ١٢٧/٢ .
(٧٩) الجامع الصغير للسيوطى ، ٣٥/١ ، وفى البخارى عن أبى هريرة (باب الأدب) .
(٨٠) سورة المائدة ، الآية ٣٢ .
(٨١) جزء من الحكمة رقم ٢٤٤ .
(٨٢) من حكم ابن عطاء الله السكندرى حكمة رقم ١٢٧

بالخدمة اثنتا من كوة الذل والافتقار .

وقال الجيلاني رضي الله عنه : أتيت الأبواب كلها فوجدت عليها الزحام . فأتيت باب الذل والفقر فوجدته خاليا . فدخلت . وقلت : هلموا . هـ .

والمراد بالذل الذل بين الأقران حتى يراه الخاص والعام وكل من كان يعظمه من الأصحاب والإخوان . والمراد بالفقر إخراج المال من اليد وخلو القلب من الشغل به .

قلت : وقد كنت قبل أن أدخل في طريق القوم متلبسا بشيء من الدنيا . كان عندي بستان وعرصتان من اللشين [٨٣] من قبل الحبس وبقرة تحلب وملاح الملح وخزانة من كتب العلم . فلما دخلت في الطريق ذهب ذلك كله وبقيت كما قال تعالى : « ولقد جئتمونا فرادى » [٨٤] الآية . وبعت كتب العلم الظاهر . وأنفقت جل ذلك على الشيخ في بنيان داره بعمارة وفي تزويجه . وبعض مآربه .

وكنت حائزا لرئاسة العلم . معظما عند الخاص والعام . نتردد إلى الولاة في الشفاعة . مبتلى بذلك حتى قال شيخي الفقيه الورزازى لما دخلت في الطريق وتركت ذلك كله كنا نستعين به في هذه الوجهة وكنت ملحوظا عندهم بالصلاح التام . متهما بالولاية الكبرى في حسبانهم فكنت إذا خرجت إلى السوق يتساقط الناس علي للزيارة .

فلما قبضت الورد من شيخنا البوزيدي رضي الله عنه . لبست جلابة غليظة من جلاليب أبي نداف [٨٥] . كانت لبعض أصحابنا . فلما رآني الشيخ بها فرح فرحا شديدا وتحقق أنه سيفتح علي في أسرار الحقائق . وكنت حين لبستها بائتين معه عند الحاج الزكامي في عرصته خارج تطاون فدخلت المدينة بتلك الجلابة والفقراء معي يذكرون الهيللة والناس ينظرون ويتعجبون .

فلقد سمعت نفسي من داخل تغوت [٨٦] وتصيح . والعرق يسيل مني لأن هذا

---

(٨٣) اللشين : البرتقال .

(٨٤) سورة الأنعام الآية ٩٤ .

(٨٥) أبو نداف : قماش شديد الخشونة قبيح المنظر .

(٨٦) تغوت : تصيح بصوت مرتفع .

أول خرق رأته . ثم قال لي الشيخ ألزم جلابتك . فلبست الجلابة أياما . ولما علقت السبحة الغليظة في عنقي ودخلت إلى الدار بالجلابة والسبحة في عنقي . قام أهل الدار في رد ذلك . فلما رأوا عزمي سلموا وبكوا علينا بكاء الميت . وتعزوا فينا تعزية الميت . فكانت القوافل من النساء تأتي أهل الدار وتعزيهم فينا . وحزن علينا أهل تطاون حزنا شديدا .

ولما رأيت الناس لم يفارقوني بعد هذا استأذنت الشيخ في لبس المرقعة . فأذن لي . فلما لبستها فر الناس مني . فوجدت الراحة الكبيرة .

وتفرغت لسلوك الطريق . ثم كتب الشيخ إليّ أن اخرج عن كل ما يفضل عليك من الرزق وتصدق به ولا تمسك إلا ما تتقوت به أنت وأهل دارك والفقراء يوما أو يومين . فكنت أخرج ما يزيد على الكفاية وربما نقوم في الليل نخرج ما في الدار تسترا من النساء . فبقيت مدة على ذلك . حتى تحلينا بالفاقة وكبر اليقين .

ثم كتب إلي أن اخدم الفقراء واغسل ثيابهم بنفسك واشتر لهم الصابون وصبن لهم برجلك وأطعمهم ما عندك . ففعلت ذلك مدة .

ثم أمرني بالسؤال في الحوانيت وأبواب المساجد . فما رأيت في الدنيا أصعب منه ولا أجهز لأوداج النفس منه . ولقد كنت أخرج بنية ذلك وأدور في السوق فيمنعني الحياء . فأرجع وأغبط من يفعل ذلك من الفقراء . وكانت نفسي تتمنى الموت الحسي مرارا في اليوم .

حتى إذا كان يوم جمعة حلفت لها باليمين المغلظة لتبدأن اليوم فلما سلم الإمام خرجت إلى باب الجامع فجلست بين عجائز سعيان بعضهم عميان وبعضهم فقراء . ومدت يدي معهم للسؤال . فكان الناس يمرون بي ويغطون وجوههم حياء مني لئلا يروني في تلك الحال . ففعلت ذلك مرارا جالسا معهم . ثم قمت إلى الباب ومددت يدي إلى الناس . ثم فعلت ذلك في جوامع تطاون كلها .

ثم انطلقت إلى الحوانيت والأسواق . فكان وردي ذلك كل يوم بعد صلاة العصر . فبقيت كذلك ما دمت في تطـاون .

ولما استأذنته في العزلة والصمت . كتب إلي أن اذهب إلى السوق واجلس فيه

من البكرة إلى العشية . تفعل ذلك يوما بيوم . قال لي يوما تذكر فيه الأحباب . ويوما تحبس في السوق .

ففعلت ذلك مدة شهر رمضان نقيل في السوق مرة جالسا ومرة راقدا إلى العصر . ثم أذهب للورد المذكور .

ثم أمرني بتشطيب السوق وحمل زبله على عنقي إلى خارج المدينة فكنسته ثلاث مرات أو أربع . وكنت أحمل الزبل على كتفي . وكان أيام الشتاء فربما يسيل منه الماء على ظهري .

ثم أمرني بركوب الحمار ونسير به في الأسواق . فركبته خمس مرات . وتسايرت به المدينة كلها . وكنت أتعمد به أهل الإنكار . وكذلك السؤال كنت أقصد به أهل الانتقاد والإنكار أكثر من غيرهم . لأستخرج منهم ما تموت به النفس . وكنت أتعمد به أيضا من كان يعظمني وأقاربنا أكثر وكنت ألح في السؤال عليهم وأظهر لهم الرغبة في الدنيا قصداً للإخلاص وقتل النفس .

وأمرني أيضا بحمل الجراب وهو أقرب فكنت أحمله على ظهري وأنا إمام فنعلقه في المحراب . فإذا فرغت من الصلاة علقته في عنقي . فإذا خرجت للسؤال حملت جرابين واحدا من قدام وآخر من خلف . وربما لبست سبع قربان . وأخرج إلى السوق . وكنت أسمع الهاتف يقول زد صفّ سبيكتك . ومرة يقول زد على يدك . وهكذا من التأييدات .

ثم سقيت بالقربة في الأسواق والطرق والحوانيت ولم يأمرني به الشيخ . غير أني سمعت أن مولاي العربي رضي الله عنه . استعمله في سيره وحرابه . فاستعملته .

فكان بعض الكرابين يعطيني القربة ويملأها لي بالماء ويعلقها لي في عنقي ويعطيني الشناشيل التي تصوت ويعطيني خنشة [87] للفلوس . ثم نخرج نسقي . فإذا فرغت رجعت إليه يعمرها مرة أخرى . كنت أفعل ذلك أيام الموسم حين يتزين الناس لعيدهم ويجلسون في الطرق . فأطوف عليهم بقربتي نسقيهم . فإذا

---

(٨٧) خنشة : كيس من قماش خشن (تستعمل عادة للقمح وغيره)

قالوا لي هل بالفلوس أم لا ؟ أقول لهم : بل بالفلوس . ولا تظهر لهم شيئا من الزهد . فإذا قبضت شيئا دفعته لصاحب القربة . فكان يفرح بذلك . فعلت ذلك أسقي أياما ما دمت في تطاون .

وكان شيخنا وشيخه مولاي العربي رضي الله عنهما يأمراني بالخروج من المدينة ويقولان : المدن عوائدها كبيرة وهرجها كثير لاتليق بالمريدين . فلم نقدر على الخروج لكثرة العيال . وقد تربوا في المدينة فشق عليّ إخراجهم . وكنت تزوجت في قبيلة انجرا امرأة أخرى . فكنت نجمع بين الحاضرة والبادية .

فلما جاء الوبا وذهبت الصبيان إلى الله تعالى . خرجنا من المدينة مع السبب الذي نذكره في ذكر امتحاننا بالسجن إن شاء الله فبنيت دار بني سعيد عام عشرة ومائتين وألف . وتزوجت فيها عام خمسة عشر . وعمرت دار الزميج عام ستة عشر . وكانت بنيت قبل ذلك مدة اشترينا البلد بثمانين مثقالا . ثم شرعنا في البناء .

فانتقم منا أهل المدشر فسعوا بنا إلى عامل طنجة . فأخرجنا منها كرها . ثم بنينا في موضع آخر فيه فشكوا بنا ثانيا . فأخرجونا وحرقوا البيت الذي سقفنا والمسيد[٨٨] الذي كنت نسكن فيه ونهبوا ما وجدوا فيه من الفراش وغيره . وقلعوا ما كنا غرسنا من أشجار اللشين وغيرها .

وفي هذه الوقعة ضرب المقدم شيخ القبيلة بالخُدمي[٨٩] وفر إلى بني سعيد . فقبض على جميع الفقراء . وفر بعضهم إلى سواحل البحر فأخذ منهم المخزن مائتي مثقال ظلما . فرجع حينئذ عن الطريق خلق كثير عز عليهم المال . كان دخولهم على حرف[٩٠] وكانوا لم يتمكنوا من حلاوة الطريق فنفضهم ريح التصفية . ولم يبق إلا الصحيح .

ولما انتقلت الدولة عن ذلك الظالم وجاء عامل آخر . كلمته القبيلة في شأننا . فقال : إن جاءوا بعقودهم نرد إليهم بلدهم . فذهب المقدم إليه مع بعض الفقراء

---

(٨٨) المسيد : الكتّــاب .

(٨٩) الخدمي : الســكين .

(٩٠) على حرف : على شفا حفرة (غير عميق مثلا) .

فرد عليهم البلد . فبتينا حينئذ الدار التي نسكن اليوم سنة أربع عشرة أو خمس عشرة من القرن الثالث عشر والله تعالى أعلـــم .

ذكر امتحاننا بالســجن والخروج من الوطــن

ولما ظهر الطريق وانتشر ذكر الله في البلاد . نقم علينا بعض من ينتسب إلى وزان . فعمل علينا ببينات جلها زورية بأحوال ظلمانية يريد بذلك إطفاء نور الله والله متم نـــوره .

ثم إن بعض العوام ادعى على أخي أنه دخل داره ولقن امرأته الورد في غيبته . وهو بريء من ذلك . إنما لقنها مع بعض النساء في دار غيره . وهو لا يعرفها . فشكا ذلك الرجل إلى سيدي علي بن أحمد بن القطب الوزاني بوزان . فأرسله إلى قائد تطوان يشتكي بحاله .

وكتب فقيهه الفلوس إلى القائد يأمره بقبض أخي . فأمر بقبضه . فلما بلغني أنه مقبوض بقبيلة انجرا خرجت معه حتى قدمت معه إلى القائد . فلما أمر بسجنه قال لي : أنت لا دعوى لي عليك . فقلت : أنا لا أفارق أخي . فأمر بسجني معه . ثم قبض فقراء تطاون كلهم . فكانوا معنا في السجن .

ثم قدم علينـا فقراء تازة لزيارتنا وفيهم العالم الكوبهن [٩١] والعارف المكودي فسجنوا معنا . فبقينا في السجن ثلاثة أيام . والله ما رأينا أياما كانت أطيب من تلك الأيام . انقلب السجن زاوية وصار كله يذكر الله . وانفتح باب السجن للداخل والخارج وانبسط أهل السجن وزال غمهم ما دمنا معهم . ولقد لقنت الورد في السجن لبعض المسجونين خمسة أو أربعة . وأتت أنواع الأطعمة حتى طعم أهل السجن كلهم وبقي الخير .

ثم إن القائد الصريدي جمع العلماء والشرفاء وأكابر أهل البلد ثم أخرجنا من السجن . وأمرنا بالرجوع عن طريق الله . وأكرهنا على ذلك . فرجعنا بألسنتنا وأعطينا شهادتنا بالرجوع . والقلب مطمئن بالإيمان . ثم أرسل إلى الفقيه الكوبهن

---

(٩١) أحمد بن محمد بن الكوهن والد عبد القادر الكوهن مؤلف « إمداد ذوي الاستعداد » .

وقال له يناظرك أهل العلم فإن غلبوك رجعت . وإلا نكلنا بك ورددناك للسجن .

فقال لهم أعطوني الإنصاف وعينوا من يتكلم معي وأنا أتكلم معكم . فقال الفقيه الجنوي الصغير[٩٢] أنا أتكلم معك .

فقال له صاحبنا الكويهن : ماذا تنكر علينا ؟ فقال له الجنوي هذه المرقعة .

فقال له ماذا تنكر منها ؟ فقال لبسها . فقال له : نبينا ﷺ هل التزم لباسا مخصوصا وزيا معلوما لم يتعده ؛ أو كان يتلوّن في اللباس : فقال له لم يلتزم لباسا مخصوصا .

فقال : ولم أنكرتم علينا المرقعة : وقد لبسها سيدنا عمر ولبس مصعب بن عمير فروة كبش في جلده . فقال له الجنوي : هذا ليس بحديث .

فقال الكويهن : اشهدوا عليه أنه ليس بحديث . ونحضر كتب الحديث . فامتنع من الإشهاد عليه .

ثم طال الكلام على غير الإنصاف . وتكلموا كلهم بالحمية والعصبية . فأمر القائد برده إلى السجن . ثم التفت إلي وقال لي : ترجع إلى مسجدك وتدريسك . وأخوك كذلك . وإلا ضربت القيد على أرجلكما وسجنتكما .

ثم كتب إلى السلطان يعلمه بذلك . فكتب إليه : إن لم يرجع الفقيه ابن عجيبة عن ذلك . فقيده واسجنه وأرسله إليّ .

ثم أخرجونا من الزاوية وشدوها[٩٣] . وأخرجوا الكويهن من السجن وأصحابه . فسافروا إلى بلدهم . وأما نحن فبقينا ما شاء الله ففررنا بأنفسنا فذهب أخي إلى بني زروال . ثم إلى تازة . ثم لحق بالشيخ بتلمسان . وقد كان أمره شيخه مولاي العربي رضي الله عنه بالذهاب إليها خوفا عليه من السلطان .

وأما أنا فخرجت إلى قبيلة بني سعيد فبقيت فيها نحو خمسين يوما . وأسست

---

(٩٢) ابن المفتي محمد بن الحسن الجنوي ، وقد توفي هذا الابن في تطوان سنة ١٢١٤ هـ .

(٩٣) شدوها : سدوها وقفلوها .

فيها دار سكنانا اليوم بإذن الشيخ . وذلك سنة عشر من هذه المائة الثالثة عشرة .

ثم أمرني الشيخ بالخروج إلى قبيلة انجرا . فبنينا دارنا الذي نحن فيها . وقد تقدم حديثها .

وقد كان الشيخ رضي الله عنه أخبر من طريق الكشف أنه يكون لي داران . وذلك أن فقراء انجرا لما بلغهم أني عزمت على السكنى في بني سعيد ذهبوا بهدية إلى الشيخ ورغبوا إليه أن يسكنني في قبيلتهم . فقال لهم سيدي أحمد له داران . دار ببني سعيد . ودار بانجرا . وله أربع نسوة ولم تكن لي حينئذ إلا واحدة . فكان الأمر كما أخبر رضي الله عنه .

ولما بلغ خبرنا إلى فاس عاتب أهلها أهل تطاون على ما فعلوا بنا . وعابوا عليهم ذلك أشد العيب . وانتصر لنا الفقيه الأديب العالم الأديب الشريف العلمي سيدي سليمان الحوات [٩٤] . فأنشد قصيدة يعيب فيها على أولاد ابن ريسون لأنهم كانوا جادين في رجوعنا عن هذه الطريق وخص بالخطاب كبيرهم سيدي علي ابن ريسون [٩٥] . فقال فيها :

أبا حسن كن مثل والدك الذي	تغيب في سكر الشهود عن الحس
وإلا فأصلح منك بالزهد فاسدا	وكن واثقا بالموت يصبح أو يمسي
ولا تعترض ما لست تعلم حكمه	ودع عنك حظ النفس والرجم بالحدس
وأنصف ولا تجحد إذا كنت عالما	بعلم غد كعلم ما مر بالأمس
فما بالكم تسعون سعي معارض	لطائفة التجريد في الضرب والحبس
فكيف يهين ابني عجيبة مسلم	وعلمهما بالله أجلى من الشمس
وعالم تازا لاح بدر سعوده	فظن لديكم أنه كوكب النحس
كأنك لم تعرف حقيقة سرهم	ولم تعترف منهم بنوع ولا جنس

(٩٤) شريف اكزاون ومؤلف سيرة الشيخ محمد التاودى بن سودة وعنوانها الروضة المقصودة فى مآثر بن سودة .

(٩٥) على بن محمد بن على بن ريسون . المتوفى فى تطوان سنة ١٢٢٩ هـ ، وهو ابن صاحب الطريقة الريسونية .

هم القـوم كفـوا أنفسهم ولسـانهم ومن يستـطع كف اللسـان والنفس

أهـانـوا يدا كانـت تمد تكـبرا للثم فمـدوهـا إلى طلب الفلس

وقـد عوضـوا عن الشفوف عباءة مرقعـة قرت بها العـين في اللبس

وفـروا إلى الله على حين علمـهـم به تاركـين الخلق في مجهـل اللبس

فدونـك نصحي يا ابن ريسـون واشتغـل بنفسك عن الناس من عمر أو قيس

ولا ترى إلا الله في كل وجـهـة وبع صفقة الأكوان بالثمن البخس

فهـذا أبـوك الغـوث كان كما ترى وكـم قبلـه من عارف زاهـد جرس

أمـالـك في الشيخ ابن سودة إسوة أمـا أنـه في العلم تاج على الرأس

وكـان أمـير المؤمنـين محمـد [٩٦] يذكـر في حق الـزوايا بما ينسي

ومـا ظن فيهـم ريبـة قط لا ولا سقـاهم كغـيره نقيعـا من اليـأس

وهـذا ابنه في العلم والـدين قدوة ومـا حط منهم لا بجهـر ولا همس

فسـلم هداك الله تسـلم ولـو لمن تخبـطه الـشيطان يومـا من المس

وإني سليمان بن عمـك لا أرى سهام لكم يرمي بنصح عن القوس

وحبي لكم قوّى انتصاري لهم فكن كهم لا ترى بغـير ربـك من أنس

وبالله التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيـم . .

ذكر سـندنا لطريق التصـوف إلى النبي ﷺ

اعلم أرشدك الله إلى طريق التحقيق . وسلك بنا وبك مسلك التوفيق . أن سلوك طريق التصوف . وخصوصا لمريد الكشف والتحقيق لا يكون من غير التزام الطاعة والانقياد لشيخ محقق مرشد جامعا بين حقيقة وشريعة . لأن الطريق عويص . وأدنى زوال يقع عن المحجة يؤدي إلى غاية البعد عن المقصود .

قال أبو الحسن الششتري [٩٧] : ولابد أن يتحكم ـ أي المريد ـ لمن يأمره وينهاه ويبصره . فإن الطريق عويص قليل خُطّاره كثير قطاعه . وقد يظن السالك أنه على جادته . وهو قد ولّى ظهره لموضع توجهه منه . فإنه إذا خرج منه أنملة فقد خرج

---

(٩٦) مولاي محمد حفيد مولاي إسماعيل ، وكان سلطان على المغرب (١٧٥٧ ـ ١٧٩٠ م) .

(٩٧) أبو الحسن علي الششتري ، صوفي اندلسي [٦٦٨ هـ] .

وانقطع . فإنه طريق دقيق . ونفس متصرفة في البدن . وهي الراحلة عنه . وعادة مألوفة . وشيطان هذا الطريق فقيه بمقاماته ونوازله . هـ .

وقال في « العوارف »[٩٨] : المقصد الكلي هو الصحبة وبالصحبة يرجى للمريد الخير .

روي عن أبي يزيد أنه قال : من لم يكن له أستاذ فإمامه الشيطان . وقال : الشجرة إذا نبتت بنفسها من غير غارس فإنها تورق ولا تثمر وإذا أثمرت لا يكون كثمار البساتين المغروسة .

وقال أبو عمران الزاجي [٩٩] رضي الله عنه : لو أن رجلا كشف له عن الغيب . ولا يكون له أستاذ لا يجيء منه شيء .

وقال إبراهيم بن شيبان [١٠٠] رضي الله عنه : لو أن رجلا جمع العلوم كلها . وصحب طوائف الناس . لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام أو مؤدب ناصح . ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه يريه عيوب أعماله . ورعونات نفسه . لايجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات .

وقال الشيخ أبو العباس المرسي [١٠١] رضي الله عنه : كل من لايكون له في هذا الطريق شيخ . لايفرح به . بل ولو كان وافر العقل منقاد النفس . واقتصر على ما يلقي إليه شيخ التعليم فقط . فلا يكمل كمال من تقيد بالشيخ المربي . لأن النفس أبدا كثيفة الحجاب عظيمة الإشراك . فلابد من بقاء شيء من الرعونات فيها . ولا يزول ذلك عنها بالكلية . إلا بالانقياد للغير والدخول تحت الحكم والقهر . وكذا لو سبقت له من الله عناية . وأخذه الحق إليه وجذبه إلى حضرته . لا يؤهل للمشيخة ولو بلغ ما بلغ .

---

(٩٨) « عوارف المعارف » للسهروردى [٦٣٢ هـ] .

(٩٩) صوفي من أهل نيسابور ، وكان تلميذا للجنيد في بغداد [٣٤٨ هـ] انظر ترجمته في الرسالة القشيرية .

(١٠٠) إمام عصره وكان تلميذا لإبراهيم الخواص (انظر الرسالة القشيرية) .

(١٠١) خليفة الإمام الشاذلي ، المتوفى بالاسكندرية في سنة ٦٩٤ هـ .

وقال في « لطائف المنن »[١٠٢] : وكل من لم يكن له أستاذ يصله بسلسلة الاتباع . ويكشف له عن قلبه القناع . فهو في هذا الشأن لقيط لا أب له . دَعي لا نسب له . فإن يكن له نور فالغالب عليه غلبة الحال والغالب عليه وقوفه مع ما يرد من الله إليه . لم ترضه سياسة التأديب والتهذيب . ولم يقده زمام التربية والتدريب . هـ .

وقال شيخنا البوزيدي رضي الله عنه : من لم يصحب الفحول يبقى في الوهم موحول .

فنقول أخذنا طريقنا هذه عن الشيخ العارف الواصل سيدي محمد بن أحمد البوزيدي الحسني عن شيخه الكامل القطب الواصل سيدي العربي بن أحمد الدرقاوي الحسني . عن شيخه العارف بحر العرفان ومعدن الشهود والعيان سيدي علي بن عبد الرحمن العمراني الحسني المكنى بالجمل . عن شيخه العارف سيدي العربي بن أحمد بن عبد الله أخذ طريق الجيلانية عن القطب الجامع سيدي أحمد اليمني . أتى بها من اليمن عن شيخه البرموني . وأخذ الشاذلية عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله . وأخذ أيضا سيدي أحمد بن عبد الله عن سيدي أحمد اليمني مشاركا لوالده فيه لما مات شيخه سيدي قاسم الخصاصي . تركه لم يرشد . وقال له : يأتيك من يكملك . فلما أتى سيدي أحمد اليمني كمل به وأنفق عليه نفقة كبيرة في حكاية طويلة .

وفي سيدي أحمد بن عبد الله التقى البحران بحر الشاذلي . وبحر الجيلاني . فأخذ الجيلانية عن اليمني . وأخذ الشاذلية عن أبيه سيدي أحمد بن عبد الله .

وأخذ سيدي أحمد عن سيدي قاسم الخصاصي كما تقدم . وأخذ سيدي قاسم الخصاصي عن العارف بالله سيدي عبد الرحمن الفاسي . وعن سيدي محمد بن عبد الله . والد سيدي أحمد بن عبد الله . وهما عن القطب سيدي يوسف الفاسي . عن القطب سيدي عبد الرحمن المجذوب . عن شيخه سيدي علي الصنهاجي المشهور بالدوار . عن شيخه سيدي إبراهيم أفحام . عن الشيخ سيدي أحمد زروق . عن شيخه سيدي أحمد بن عقبة الحضرمي عن سيدي يحيى القادري . عن القطب سيدي علي بن وفا . عن والده سيدي محمد بحر الصفا . عن سيدي داوود الباخلي ويقال

---

(١٠٢) للشيخ عبد الوهاب الشعراني

الباقري . عن سيدي أحمد بن عطاء الله . عن القطب سيدي أبي العباس المرسي . عن القطب سيدي أبي الحسن الشاذلي . عن القطب سيدي عبد السلام بن مشيش . عن شيخه القطب سيدي عبد الرحمان المدني . عن تقي الدين الفقير (بالتصغير) لقب نفسه بذلك . عن القطب فخر الدين عن القطب نور الدين . عن القطب تاج الدين . عن القطب شمس الدين . عن القطب زين الدين محمد القزويني . عن القطب سيدي إبراهيم البصري . عن أبي القاسم سيدي أحمد المرواني . عن القطب سيدي سعيد . عن القطب سيدي سعد . عن القطب فتح السعود . عن القطب سيدي سعيد الغزواني . عن القطب سيدي جابر . عن أول الأقطاب سيدنا الحسن . عن والده سيدنا علي كرم الله وجهه . عن النبي ﷺ . عن سيدنا جبريل عن رب العزة العظيم الجليل .

وذكر ابن عطية الفاسي [١٠٣] طريقا آخر تتصل بالجنيد . فقال : وأخذ أيضا عن سيدي عبد الرحمن المدني . عن القطب سيدي عبدالله التنايري عن سيدي أبي بكر الشبلي . عن القطب الجامع سيدي أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه . عن خاله سيدي سري السقطي . عن شيخه سيدي معروف الكرخي . عن شيخه سيدي داوود الطائي . عن شيخه سيدي حبيب العجمي . عن شيخه سيدي الحسن البصري . عن أول الأقطاب سيدنا الحسن بن علي . عن والده سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه ـ وفي رواية أن الحسن البصري هو الذي أخذ عن سيدنا علي كرم الله وجهه ـ عن سيد الأولين والآخرين إمام العارفين وقدوة الواصلين مولانا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم .

وذكر ابن عطية أيضا سلسلة أخرى للحضرمي تتصل بالجيلاني . تركتها اختصارا . فهذه سلسلة أشياخنا رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم آمين .

وفي الحديث عنه ﷺ : « والذي نفس محمد بيده لئن شئتم لأقسمن لكم إن أحب عباد الله إلى الله الذين يحببون الله إلى عباده ويحببون عباد الله إلى الله ويمشون في الأرض بالنصيحة » .

وهذا هو وصف المشيخة لأن الشيخ يحبب الله إلى عباده حقيقة ويحبب عباد الله إلى الله .

---

(١٠٣) عبد الحق المحاربي الغرناطي ابن عطية (حوالي ٥٤٢ هـ) .

فأما وجه كون الشيخ يحبب عباد الله إلى الله لأن الشيخ يسلك بالمريد طريق الاقتداء برسول الله ﷺ . ومن صح اقتداؤه أحبه الله . قال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله »[١٠٤] .

وأما وجه كونه يحبب الله تعالى إلى عباده لأنه يسلك بالمريد طريق التزكية . وإذا تزكت النفس انجلت مرآة القلب وانعكس فيها أنوار العظمة الإلهية . ولاح فيها جمال التوحيد وانجذبت أحداق البصيرة إلى مطالعة جلال القدم . ورؤية الكمال الأزلي . فأحب العبد ربه لا محالة وذلك ميراث التزكية . قال الله تعالى : « قد أفلح من زكاها »[١٠٥] وفلاحها الظفر بمعرفة الله . هـ . من الفاسي[١٠٦] .

ثم قال فالمشايخ لما اهتدوا أهلوا للاقتداء بهم وجعلوا أئمة للمتقين .

قال رسول الله ﷺ حاكيا عن ربه عز وجل : « إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي جعلت همته ولذته في ذكري فإذا جعلت همته ولذته في ذكري عشقني وعشقته ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه . لا يسهو إذا سها الناس . أولئك كلامهم كلام الأنبياء . أولئك الأبطال حقا . أولئك الذين إذا أردت بأهل الأرض عقوبة أو عذابا . ذكرتهم فصرفته بهم عنهم » . هـ .

وشروط الشيخ أربعة : علم صحيح . وذوق صريح . وهمة عالية . وحالة مرضية . قاله الشيخ زروق رضي الله عنه .

والمراد بالعلم ما لابد منه مما يتقن به فرضه من العلم الظاهر ولا يشترط علمه بالفروع .

وأما علم الباطن فلابد من التغلغل فيه إذ به يسير المريدون . والمراد بالذوق أن يكون أخذه بالوراثة والتربية لا بالنقل من الكتب .

والمراد بالهمة العالية : أن لا تتعلق بالدنيا .

والمراد بالحالة المرضية : الاستقامة في الظاهر والباطن . وهي الحالة التي كان عليها رسول الله ﷺ .

---

(١٠٤) سورة آل عمران الآية ٣١ .

(١٠٥) سورة الشمس ، الآية ٩ .

(١٠٦) يوسف الفاسي .

وشروط المريد أربعة أيضا : قصد صحيح ، وصدق صريح ، وآداب مرضية ، وأحوال صافية .

وآدابه مع الشيخ ثمانية : أربعة في الظاهر ، وأربعة في الباطن .

أما التي في الظاهر . فأولها امتثال أمره وإن خالف رأيه وفهمه واجتناب نهيه وإن وافق فهمه . فخطأ الشيخ أصلح من صواب المريد . ويقدم على الوالدين لأن أمر الشيخ ونهيه نفع للروحانية الباقية وأمر الوالدين نفع للبشرية الفانية . وأبو الأرواح مقدم على أبي الأشباح . إذ هو ينظر بالبصيرة . وهما ينظران بالبصر .

وقد نص على هذا البلالي في « اختصار الإحياء » . والشيخ السنوسي في « شرح نظم الجزيري » .

وثانيهما : تعظيمه واحترامه في الظاهر . فلا يرفع صوته عنده ولا يتكلم حتى يستدعيه منه . ويكون بقدر الحاجة . ولا يضحك بين يديه . وهو من أقبح الأمور . فإن كان فتبسما . ويجلس بين يديه كجلسة الصلاة . أو على قدميه ويديه على ركبتيه . ولا يفرض بين يديه ما يجلس عليه ولا يلتفت عنه في مذاكرته . بل يجمع همته معه . ويكون كالجالس على البحر . ينتظر ما يرزقه الله منه .

وثالثها : تسليم أموره إليه فلا يفعل شيئا مهما إلا بإذنه إلا في الواجبات والضروريات . فبقدر ما يسقط التدبير مع الشيخ يسقطه مع الحق حين يوصله إليه . فهذه الآداب إنما هي تدريب للحضرة إذ الطريق كلها آداب . فمن أساء الأدب مع الأحباب طرد إلى الباب . ومن أساء الآداب بالباب طرد إلى سياسة الدواب .

ورابعها : صحبته والجلوس معه حتى يرشده . إلا أن يأمره بالجلوس في موضع آخر فالمواصلة واجبة . فمدد الشيخ كالقادوس أو الساقية فبقدر المرور معه ينطلق الماء . وبقدر الغفلة عنه يقل ماؤه أو ينقطع وقد قال بعضهم :

لا محب إلا بوصول ولا وصول إلا غالي
ولا شراب إلا مختوم ولا مقام إلا عالي

فالشراب المختوم . والمقام العالي . إنما يكونان بالشرب من مدد الشيخ والشرب على قدر الصدق . والصدق على قدر المحبة . وعلامة المحبة الاتباع والتعظيم .

وأما الآداب الباطنية : فأولها المحبة والهيبة للشيخ . فبقدر ما يفنى في الشيخ يفنى

في الحق . وتعظم المحبة بالنظر إلى محاسنه وحسن شمائله واستقامته .

وثانيها : ترك الاعتراض عليه في الباطن . فهو أقبح من الاعتراض في الظاهر . وقد قالوا من قال لشيخه : لم ؟ لا يفلح .

وانظر قضية الخضر مع سيدنا موسى عليه السلام . فهي مبنى طريق الصوفية رضي الله عنهم . وقد أشار إليها صاحب العينية بقوله :

وإن ساعد المقدور أو ساقك القضا إلى شيخ حق في الحقيقة بارع
فقم في رضاه واتبع لمراده ودع كل ما من قبل كنت تصانع
وكن معه كالميت عند مغسل يقلبه ما شاء وهو مطاوع
ولا تعترض فيما جهلت من امره عليه فإن الاعتراض تنازع
وسلم له فيما تريه ولو يكن على غير مشروع فثم مخادع
وفي قصة الخضر الكريم كفاية بقتل غلام والكليم يدافع

إلى آخر كلامه ، انظره .

وثالثها : اعتقاد كماله وأنه أهل للشيخوخة . لجمعه بين الحقيقة والشريعة . وكمال الاستقامة . كما تقدم في شرطه . ولا يشترط فيه العصمة .

فقد سئل الجنيد : أيزني العارف ؟ فقال : وكان أمر الله قدرا مقدورا . والولي تقع منه الهفوة والهفوات . غير أنه لا يصر عليها . ويجب تأويل ما يصدر من الشيوخ . مخافة أن يكون اختبارا . كما وقع لكثير فطرد قوم . وربح قوم . فشد يدك يا أخي وإياك والميزان .

وقد قال شيخ شيوخنا سيدي علي لتلميذه مولاي العربي رضي الله عنهما : ياهذا شد أذنيك وغمض عينيك وعض بأسنانك وشد ببنانك وإلا طرنا عنك وتركناك .

ورابعها : عدم التشوف إلى غير شيخه والانتقال عنه . وقد عدوا هذا من أقبح كل قبيح . وأشنع كل شنيع . وأفظع كل فظيع . وهو تسويس لبذرة الإرادة .

وقولهم أثبت تنبت . والنبات مشروط بصحة النوات . فمثل هذا لا يزيده المقام معه إلا نفارا . ولا تزيده مرور الأيام إلا إدبارا . قاله الفاسي في شرح الرائية . وهو من كفران النعم الذي يوجب السلب والعياذ بالله . وقد قال شيخنا رضي الله عنه : من شرب من قادوس فليلزمه هـ . وهذا كله إذا كان من أهل الباطن . وإلا فلينظر من يأخذ بيده . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ذكر من شهد لنا بالخصوصية على وجه الإخبار من المشايخ وغيرهم

حققنا الله بما شهدوا به بمنه وكرمه . وفي الحديث : « أنتم شهداء الله في أرضه » . وفي الحكم : « الزهاد إذا مدحوا انقبضوا . والعارفون إذا مدحوا انبسطوا »[١٠٧] . وإنما انبسط العارفون لعلمهم أن ألسنة الخلق أقلام الحق .

فممن شهد لنا شيخنا رضي الله عنه . وذلك أني لما لقيته المرة الأولى وسلمت عليه طلبت منه الدعاء . فقال لي : والله ليكونن لك أمر عظيم والله ليكونن لك شأن عظيم . ثلاثا . ثم قال : والله لتكونن جامعا بين حقيقة وشريعة . ثم قال لأصحابه : مازال يكون لسيدي أحمد وقت كبير . وقال لي حين لقنني الورد : « يكون أصحاب سيدي أحمد أصغرهم مثل الجنيد » . أي على قدمـه .

ودخلت عليه مرة وهو بزاوية بني سلمان فلما رآني قال : مرحبا بسيدي أحمد سيدي أحمد حبرا كاملا وشيخا مربيا جامعا بين حقيقة وشريعة .

وممن شهد لنا أيضا على وجه الاخبار شيخ شيخنا العارف الكبير مولاي العربي رضي الله عنه . وذلك أنه لما دخل تطاون في خلافة اليزيد[١٠٨] قادما للجهاد ذهبت للقائه . فلما سلمت عليه قال لي : أسيدي أحمد قوم تشرعوا ولم يتصوفوا . وقوم تصوفوا ولم يتشرعوا . وقوم جعلوا الشريعة بابا والحقيقة بابا « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون »[١٠٩] . ثم التفت إلي فقال لي : وأنت منهم . فقلت له كذلك . فقال لي : ولدك سيدي محمد بوزيد . فقال : أنا وهو ذات واحدة . وهو خليفتي حيا وميتا رضي الله عنهم أجمعين .

ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه الأعدل الزكي الأفضل سيدي الهاشمي أفيلال الحسني .

قـال : كنت ذات يوم في الدار فأزعجتني نفسي لزيارة أبي عبد الله الفخار ولم تكن عادتي زيارته . فقلت في نفسي اللهم اجعلني نلقى هناك القطب . فلما زار . دخلت

---

(١٠٧) صحة الحكمة « الزهاد إذا مدحوا انقبضوا لشهودهم الثناء من الخلق والعارفون إذا مدحوا انبسطوا لشهودهم ذلك من الملك الحق » حكمة رقم ١٤٦ من الحكم العطائية لابن عطاء الله السكندرى .

(١٠٨) حكم في الفترة من ١٧٩٠ - ١٧٩٣ م ، في فترة شهدت الكثير من القلاقل والاضطرابات .

(١٠٩) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

عليه القبة من غير ميعاد . فقال لي : جرى لي كذا وكذا ؟ فقلت حقق الله ذلك ببركة جدكم ﷺ .

ومن ذلك ما أخبرني به بعض الإخوان ممن أثق به . قال : حدثه به بعض الصالحين من أولاد البقال . قال : تمنيت أن أعرف القطب . وأضمرت ذلك في قلبي . فنمت فرأيت في المنام في صحن جامع سيدي علي الجعيدي وإذا هو مملوء طباسيل[110] من عسل . فنزل سيدي أحمد بن عجيبة فجعل يقسم على الناس وأعطاني طبسيلا من ذلك .

ومن ذلك ما أخبرتني به الأم . قالت : زرت السيدة البهالية المجذوبة سيدتي فاطمة بنت الولي الصالح سيدي عبد الرحمن بن عجيبة وكانت من أهل الكشف العظيم . قالت : فقلت لها ولدي أحمد ادع له إني أريد أن أزوجه . فقالت لها : دَابَ[111] ينهدوا له القبائل . هكذا بالنون بعد الياء .

قلت لعله ما وقع من هداية الناس على أيدينا . وما سيقع إن شاء الله . والله تعالى أعلم .

ومن ذلك ما أخبرني به ابن عمنا الحاج محمد بن عجيبة . قال : رأيت في المنام قبة عظيمة خضراء مرتفعة في جو السماء . فقلت لمن كان حولها : لمن هذه القبة ؟ فقال : هذه لعالم يخرج من أولاد ابن عجيبة .

رأى ذلك وأنا طفل صغير . فجعل يبحث عمن يقرأ منهم العلم فلم ير من هو أهل للعلم .

فلما دخلت تطاون لطلب العلم دخل علي وقص علي هذه الرؤيا فبكيت بدموع باردة . فمن ذلك الوقت علمت أن دموع الفرح باردة . ولذلك يقول الناس في الدعاء : أقر الله عينك . والقر هو البرد . ومنه قرة العين . والله أعلم بغيبه .

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا الحاج محمد الزكامي . قال : كنا بائتين معك في قبة سيدي السعيدي نذكر الله في الحلقة . فرأيت رجلين كبيرين أشيبين لم نعرفهما . فقربت منهما بعد كمال الحلقة . فقلت : من أنتما ؟ فقالا : نحن من رجال أغمات . جئنا نزور سيدى أحمد بن عجيبة .

---

(١١٠) طباسيل : (جمع طبسيل) : إناء للأكل .

(١١١) داب : بسرعة (دابا : حينا أو حالا) .

وأغمات مدينة كبيرة من وراء مراكش كانت معمورة بأكابر أولياء الله .

ومنها كان سيدي عبد الرحمن الهزميري وأخوه سيدي عبد الله الهزميري . ألف التادلي في مناقبهما كتابا كبيرا سماه : « إثمد العينين في مناقب الأخوين » [١١٢] .

ومنها خرج ابن النحوي [١١٣] صاحب « المنفرجة » نفعنا الله ببركة الجميع . وأخبرني أيضا أنه رأى في المنام سيدي أبا عبد الله الفخار يقول : الفقيه ابن عجيبة وكّله الأولياء بحفظ تطاون . وأخبرني أيضا أنه رأى في المنام أني كالمكب على تطاون . وذلك حين كنت نسكن بها .

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا الولي الصالح الشريف الحسني سيدي عيسى الودراسي .

قال رأيت في المنام قائلا يقول لي : الليلة أعطي سيدي أحمد بن عجيبة يتصرف في الكون . أو في الوجود . لا أدري أي ذلك . قال في رؤيا طويلة لم أعقل منها [١١٤] إلا هذا .

ومن ذلك ما أخبرني به الفقيه الصالح محبنا في الله سيدي العربي الصباغ .

قال صليت الصبح فنمت فرأيت في المنام أن أناسا كثيرين اجتمعوا في موضع . وقالوا ائتوا بالفقيه ابن عجيبة نركبه . قال : فأتوا بك . وامتنعت وقلت : لا أقدر . فقالوا لابد من ذلك . فإن لم يكن اختيارا فقهرا . فركبوك وأنا أنظر .

ومثل هذا أيضا رأى الحاج الزكامي . قال : رأيت الشيخ مولاي العربي وهو يقول : هانحن ألبسنا صاحبك سيدي أحمد التاج .

وقال أيضا : رأيت الأولياء اجتمعوا وقالوا نتفق على السلطان فقال قائل : السلطان بني زروال مولاي العربي . وخليفته بتطاون سيدي أحمد بن عجيبة .

فالله يتجاوز عنا ويستر مساوئنا بستره الجميل بمنه وكرمه آمين .

ومن ذلك ما أخبرني به صاحبنا سيدي الحسن الزيدي حين كان معنا في الطريق .

---

(١١٢) ونسبه بروكلمان إلى أبي علي بن تجلات الهزميري المراكشي ص ٣٣٨ .

(١١٣) أبو الفضل التنزري المعروف بابن النحوي (ت ٥٠٥ هـ) .

(١١٤) أعقل : أتـذكر .

قال : رأيت في النوم كأن رواحل خرجت من تطاون وعليها متاع الدار وقش[١١٥] البيت لسيدي أحمد فنزلت في مدشرنا . ثم رجعت مع سيدي أحمد . فلقينا في الطريق النبي ﷺ ومعه بعض أصحابه والأنوار ساطعة منه . وهو مُنكب ـ أي ملثم ـ فلما قربنا منه أزال عن وجهه النكاب ـ فسلمنا عليه . ثم التفت إلى سيدي أحمد وقال : أسيدي أحمد أينما تنزل ننزل إنا معك . ثم قدم معنا إلى المنزل الذي نزل أول مـرة .

فهذه بشارة تدل على أن الهداية المحمدية والنور النبوي لا يفارقنا ويحل معنا أينما حللنا والحمد لله رب العالمين . والأمر كله لله ولا يعلم الغيب إلا الله . ومدشره قريب من دارنا . بيننا وبينه مدشر واحد . والمقصود هو نزولنا بقبيلة انجرا . والله تعالى أعلم .

ومن ذلـك ما أخبرني به صاحبنا الفقير الصالح سيدي علي الطفري قال : رأيت الشيخ سيدي أحمد زروق رضي الله عنه في النوم . فقلت له : ياسيدي الفقيه سيدي أحمد بن عجيبة يظهر علومك ويشهر طريقتك . فقال : جزاكم الله عنا خيرا . ثم قدم الفقيه سيدي أحمـد أمامه وجعل يمشي خلفه . ثم قلت له : ياسيدي ما تقول فيَّ ؟ فقال : ما نقول في رجل من أهل الجنة . هـ . وهذه الرؤيا كانت قبل أن ألتقي بالشيخ .

وحدثني أنه كان يطلب شيخ التربية والترقية والهمة ويتوسل بالنبي ﷺ أن يأتيه إلى موضعه ولا يحتاج أن يمشي هو إليه . وأرسل بذلك بطاقة إلى الروضة المشرفة . فلما نزلت عندهم ببني بغداد ولقنته الورد علم إجابة دعائه . فحقق الله رجاءه .

ومن ذلك شهادة الشيخ لي بالخلافة عنه في حياته وبعد مماته . وذلك أني لما شرحت قصيدته الرائية[١١٦] وأرسلت له الشرح فرح به فرحا شديدا . فأخبرني من حضر في ذلك الوقت أنه قال : لو سألنا الله تعالى يوم القيامة عن سيدي أحمد لقلنا له أنه يحبنا . أو كلاما نحوه .

ثم قال لمن حضر : سيدي أحمد هو خليفتي حيا وميتا .

وسمعت منه مرة أخرى ببني زروال مع حضور جمع كبير من فقراء المشارقة وأخي معهم . فقـال لمن حضر في كلام يعـظمني فيه : والله لو كان الغزالي حيا لحط رأسه

---

(١١٥) قش : أثاث البيـت .

(١١٦) في التصوف كتبها الشيخ البوزيدي من ٢٩ بيتا .

لسيدي أحمد أشهدكم أنه خليفتي حيا وميتا . هـ . جزاهم الله عنا أحسن جزائه « والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله »[117] .

ما كنت أهلا فهم رأوني   لذاك أهلا فصرت أهلا

ومن ذلك أيضا شهادة النبي ﷺ لنا بالتربية النبوية . وذلك ما حدثني به صاحبنا الفقير الصادق سيدي عبد القادر مدينة التطاوني .

قال رأيت في عالم النوم جمعا عظيما وفيه النبي ﷺ ومولاي العربي الدرقاوي قريبا منه فتكلم بعض الفقراء . وقال : سيدي أحمد لا يربي . فقال مولاي العربي رضي الله عنه : بل يربي . والتفت إلى النبي ﷺ . فتكلم معه سرا كأنه يسأله ثم التفت إلى الناس وقال : لا إله إلا الله عليها سيدي أحمد بن عجيبة يربي . هـ .

والرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة[118] . كما قال الرسول ﷺ . وقال أيضا : من رآني فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثل بي[119] . والله تعالى يغطي وصفنا بوصفه ونعتنا بنعته فيوصلنا بما منه إلينا لا بما منّا إليه آميـــن .

ذكـر ما شـهدنا من الـكرامات الحســية والمعـنوية

قال في « لطائف المنن » : ثم إن هذه الكرامات قد تكون طيا للأرض ومشيا على الماء . وطيرانا في الهواء . واطلاعا على كوائن كانت وكوائن بعد لم تكن .

ثم قال : وهـذه كرامـات كلهـا حسية . وكـرامات هي عند أهل الله أفضل منها وأجل . وهي الكرامات المعنوية . كالمعرفة بالله . والخشية له ودوام المراقبة . والمسارعة لامتثال أمره ونهيه . والرسوخ في اليقين . والقوة والتمكين . ودوام المتابعة والاستماع من الله . والفهم عنه . ودوام الثقة به . وصدق التوكل عليه إلى غير ذلك .

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي رضي الله عنه : إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان . كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان . وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة . فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر كذاب .

---

(١١٧) سورة الأعراف ، الآية ٤٣ .

(١١٨) في لفظ آخر رؤيا المؤمن جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة . أخرجه أحمد في مسنده ومسلم عن أنس .

(١١٩) أخرجه مسلم وأبو داود عن أبي هريرة .

أو ذو خطأ في العلم والعمل بالصواب . كمن أكرم بشهود الملك على نعت الرضى ، ثم جعل يشتاق إلى سياسة الدواب وخلع المرضى . وكل كرامة لايصحبها الرضى عن الله ومن الله فصاحبها مستدرج مغرور . أو ناقص أو هالك مثبور . هـ .

ومعنى الرضى عن الله هو السكون تحت مجاري الأقدار . والرضى من الله هو اتباع أوامره واجتناب نواهيـه .

وسمعت شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يقول : إنما تظهر الكرامة الحسية ما دام الخصيم الظلماني مقابلا للنوراني . فإذا انقطع الخصيم الظلماني فلا تظهر الكرامة في الغالب .

قلت : يعني بالخصيم الظلماني خصيم الفرق . وبالخصيم النوراني خصيم الجمع ، فإذا انقطع عنه خصيم الفرق . فلا يحتاج إلى كرامة لاستغنائه عنها بالكرامة العظمى . وهي الرسوخ والتمكين في معرفة الله . فالكرامة الحقيقية هي زوال الحجاب .

ولـذلك قال في « الحكم » : ليس كل من ثبت تخصيصه كمل تخليصه [١٢٠] وقال أيضا : ربما رزق الكرامة من لم تكمل له الاستقامة [١٢١] .

قلت : وقد كانت تظهر لنا كرامات حسية وقت المجاهدة والرياضة غاب جلها عن علمنا في هذا الوقت .

فمن ذلك أني كنت أذكر الله في بيتي والكتب فوقي على المرقع [١٢٢] وإذا بطير صغير بلا ريش كأنه يوم خلق يحرك فمه تحركا قويا يفتحه ويشده . ففهمت أنه يذكر الله ، فقمت إليه وقربت منه وهو على حاله فلما مددت يدي إليه انخنس . فلم نره ، ففتشت البيت فلم نجده ، وقد كان معي طالب جالس بالباب ، فسألته : فقال لم ير شيئا . فعلمت أنه ملك من الملائكة .

ومن ذلك أني كنت أتهجد في غرفة عند ضريح سيدي أبي عبد الله الفخار والبيت مظلم . فقبض شيء على رجلي بارد كيد رجل بارد أو حية فثبتني الله فرميته برجلي ومضيت على صلاتي .

---

(١٢٠) حكمة رقم ١١١ من حكم ابن عطاء الله السكندري .

(١٢١) حكمة رقم ١٧٩ من حكم ابن عطاء الله السكندري .

(١٢٢) المرقع : السرف .

ومن ذلك أني كنت أصلي في ذلك الموضع ليلة القدر وحدي والبيت مظلم . وإذا بطيور تقع أمامي وخلفي وترفرف فوق رأسي . ولم ألتفت إلى ذلك . فعلمت أنهم الملائكة التي تسلم على الناس تلك الليلة .

ومن ذلك أني كنت راقدا عند ضريح هذا الولي فكلمني من جوف القبر بصوت فيه بحة (أي مبحبح) فقال : قم إلى زوجتك . أو كلاما نحوه وكان أهل الدار قد توقفوا عليّ [١٢٣] في شيء والله تعالى أعلم .

ومن ذلك أني كنت قدمت لزيارة أمي على طريق الجبل . فدخل وقت الظهر ولم أجد ماء فقلت في نفسي كانت الأولياء ترى الكرامات كنبع الماء وغيره : اللهم ارزقني ماء نتوضأ به . فسمعت صوت الماء فوق الطريق فعدلت فإذا ماء ينزل من الجبل فتوضأت به . فلما رجعت من الزيارة قدم معي أخي . فلما بلغت ذلك الموضع . قلت له قد وجدت هنا ماء . فلما نظرنا وجدناه يابسا . فالله أعلم .

ومن ذلك أني ختمت كتابا حين كنت إماما في جامع القصبة وأنا أعزب . فدفعت للمؤذن سيدي محمد الصغير مدين من الطحين صغيرة أو ثلاثة . فصنع منها طعاما فما زال يطعم الناس من المغرب إلى العشاء تقوم فرقة وتجلس أخرى . ثم فضل الطعام . فحمله إلى داره قال : فأكل منه أهل الدار والجيران . قال : فتحققت أنها كرامة . وقال كنت استصغرت الطحين حين دفعته إليّ . هـ .

ومن ذلك أني كنت بفاس بجامع القرويين صبيحة ليلة القدر فرأيت الناس كلهم نياما . فأسندت ظهري للمنبر . وقلت في نفسي : اللهم سهل لي في ملاقاة ولي من أوليائك وأعرف أنه ولي . فما أتممت الخاطر حتى أخذتني سنة . ففتحت عيني فإذا برجل جالس بين يدي متربعا فقال معروفا لله ورفع يديه ورفعت معه يدي . فقال ادع لي أنت ؟ فقلت الله يعرفك به . وقلت له ادع لي أنت ؟ فقال حفظ الله عليك إيمانك . ثم قام وغاب عني .

وصليت مرة أخرى الصبح ـ أعني صبح ليلة القدر ـ في ذلك الجامع ـ أعني القرويين ـ وجلست أذكر الله وإذا برجل يمشي بين السواري ويقول : لا إله إلا الله انصرف السوق . فقلت له بقي الحي الذي لايموت . فقرب مني وقال : صدقت . ثم قال

---

(١٢٣) توقفوا عليّ : احتاجوا إليّ .

لي : ألفت كتابا فقلت فيه : قال فلان قال وهل حصلت شيئا . ثم قال : إذا تم شيء قل أنت من عندك . ففهمت أنه يعرض بي لأني كنت مشغولا بالتأليف في ذلك الوقت ، وكنت أنقل كلام الناس كثيرا . فنبهني إلى استعمال فكري حتى نستخرج ما عندي .

ومن ذلك ما أخبر به صاحبنا الفقير الناصح الحاج محمد اللغميش . قال : كنا في مدينة تطاون فكلفنا القائد بسُخرة [١٢٤] في البحر إلى ناحية طنجة فتعذر علينا السفر في البحر من هول البحر وطال الأمر علينا حتى مللنا وضاق البلد علينا . قال : فأخذت صدقة وذهبت إلى سيدي أحمد بن عجيبة فوجدته يصلي في مسجده الذي كان يصلي فيه . فأطال الصلاة ، ثم التفت إلي فقال : ما حاجتك ؟ فقلت ياسيدي كلفنا المخزن بالسفر في البحر وقد تعذر علينا السفر وطال بنا المقام هنا فادع الله لنا يطلق سراحنا ؟ فقلت له غدا تسافران إن شاء الله . قال : فلما أصبحت غدوت إلى المرسى فما وصلت إليها حتى وجدت المركب قد عام وسافر كما أخبرني .

ومن ذلك ما أخبرني به الفقير الناصح والولي الصالح سيدي عبد الهادي تب . قال : أخبرني بعض الناس أنه قال : قصدت زيارة سيدي أحمد فلما وصلت إلى الوادي [١٢٥] وجدته حاملا [١٢٦] فلما دخلت بالبهيمة أدهشني الوادي وأردت أن أسقط . فناديت ياسيدي أحمد فإذا هو معي وشملته تحت يده وهو يقول لابأس عليك ثم قاد بهيمتي حتى قطعت . ومثل هذا كثير .

ومن ذلك ما أخبرني به الفقير الصالح المحب الناصح الحاج عبد الله تانسا . قال لما وقفت بعرفة رأيتك واقفا مع الناس بعرفة لا أشك في ذلك .

وهذا الأمر لايكون إلا مع شعور صاحبه أو لأن الروح تتطور وتظهر معهم . وهذا أمر شهير عن الأولياء يظهرون في مواطن متعددة في وقت واحد . يتجلى الحق تعالى بصورتهم عند الاستغاثة بهم أو عند إرادة جمعهم .

ومن ذلك تأنس الوحوش والطيور بنا حتى لا تفر منا . فمن ذلك أني كنت ذات يوم قادما إلى تطاون فلما بلغت فدان عمر مقابلا لسمسى لقيني ذئب في ناحية الطريق . فقلت له : قف . فوقف ينظر إلي . فقلت له : هل تحتاج إلى ما تأكل ؟ فجعل ينظر

---

(١٢٤) سخرة : مهمة أو تكليف .

(١٢٥) الوادي : النهر .

(١٢٦) حامل : مليء (مملوء) .

إلي كالكلب . فرددت يدي إلى خبز كان عندي . فدخل في دزوة وانخنس .

ومن ذلك أني كنت في مدشر الخندق جالسا في موضع وحدي فخرجت قنية [١٢٧] كبيرة فجعلت ترعى حولي فإذا سمعت بحس أحد أقبل إلي هربت . وإذا خلى الموضع أقبلت ترعى بين يدي حتى قمت من ذلك الموضع .

ومن ذلك أن طيرا عشش معي داخل الخلوة يدخل ويخرج علي وأنا جالس في باب الخلوة وهو لا يستوحش مني . فإذا كان معي أحد طلل [١٢٨] وهرب .

وقد مررنا في سياحتنا إلى مدينة سلا براع يرعى البقر والغنم ونحن نذكر الله فتبعتنا البقر والغنم . فلما رأى ذلك الراعي تبعنا فقلت له قد انجذبت بقرك . فقال : ومن ذا الذي لا ينجذب لكم . أو كلاما هذا معناه .

وقد التقيت مع الخضر عليه السلام في مقصورة جامع الجعيدي أخذتني الغيبة فرأيته رجلا ضخما كبير اللحية فقرب مني حتى مس شعر لحيته وجهي وتكلمت معه بكلام غاب عني اليوم لطول العهد به .

هذا ما علق بذهني في هذا الوقت من الكرامات الحسية . وأما التأييدات والخطابات من الأكوان فلا يحصون .

وقد كنا في بعض الأسفار ننزل بالإذن من الله ونسافر بالإذن صريحا . وكل من فهم عن الله وحصل له التوحيد الخاص نال هذا المقام إذا كان معه التأني والاستماع من الله تعالى والله ذو الفضل العظيم .

ذكر من أخذ عنا التربية النبوية
من الفقراء المتجردين والمتسببين

ومما منّ الله تعالى به علينا أن جمع لنا علم الظاهر والباطن .

قال ابن العريف رضي الله عنه : إذا أراد الله أن يهيء عبدا للإمامة والاقتداء شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة والعربية والفقه والحديث . ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات فعند ذلك يستحق الإمامة والتقدم . هـ .

---

(١٢٧) قنيـة : أرنب .

(١٢٨) طلل : استرق النظر .

فإنا والحمد لله ممن يأخذ سهمين أو ثلاثة كالفارس مع الراجل سهم العلم الظاهر . وسهم العلم الباطن . وسهم التعليم فيهما . فقد تحملت الذل مرتين . وحزت مرتبة الكمال والتكميل وسرت بينهما في العلمين معا . فكنت في العلم الظاهر نتعلم ونعلم . فما تركت أخذ العلم قط بعد التصدر للتعليم . نعلم من تحتنا . ونأخذ عمن فوقنا . وكذلك في علم الباطن نسيرُ ونسيرٌ . فانتفع على أيدينا في المذهبين جم غفير وخلق كثير . والحمد لله ممن جدد الله بنا الدين في هذه المائة .

قال عليه السلام : يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لأمتي أمر دينها [١٢٩] .

وقد شهد لنا بذلك أشياخنا . فقد سمعت من شيخنا البوزيدي الحسني رضي الله عنه حين قدمنا عليه لزيارته في العام الأول . قال : والله حتى يجدد الله بكم الدين المحمدي . هـ .

وكتب إلي شيخه مولاي العربي رضي الله عنه زمان الوباء ما نصه ؛ بعد كلام : نطلب الله تعالى ألا تموت حتى تكون داعيا إلى الله ينتفع بك أهل المشرق والمغرب . هـ .

ولقد كنت حين دخلت في طريق القوم وحصل لي الإذن من الشيخ في تذكير الناس نطوف عليهم في المداشر والقبائل نعلمهم الدين وندلهم على الله . فعلت ذلك ثلاث سنين أو أكثر كما تقدم . وها نحن مازلنا على ذلك « ندعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين » [١٣٠] .

فإن كان الشيخ السنوسي يعلم الناس التوحيد العام في الزقاق فنحن والحمد لله نعلم الناس التوحيد الخاص في المداشر والقبائل والمساجد والجوامع لمن قدر عليه ومن لم يقدر علمناه ما يقدر عليه من توحيد الدليل . حتى يفتح الله سبحانه في توحيد العيان .

وما كنا نخرج لتذكير الناس غالبا إلا في وقت الشتاء حين تدخل الليالي لأن ذلك وقت الغراسة والزراعة . فكنا نغرس أشجار المعرفة والمحبة في قلوب من سبقت لهم العناية .

فأما من كنا زرعنا فيه العلم الظاهر حين التدريس فكانت ثمرته ضعيفة . فمنهم من صار قاضيا أو عدلا أو إماما للتدريس والتدوير ومنهم من اشتغل بأسباب المعاش .

---

(١٢٩) أخرجه أبو داود في الملاحم ١ .

(١٣٠) سورة الأنعام ، الآية ٧٩ .

وأما من زرعنا فيه العلم الباطن فجلهم حصل لهم الغنى الأكبر ودخلوا مقام الإحسان بالذوق أو بالعلم إذا كان متجردا . وإذا كان متسببا حصل له القناعة والاستقامة والتقوى وتنوير الباطن فكلهم على بينة من ربهم والحمد لله . وقد أردت ذكرهم وتحلية كل واحد منهم ببعض ما منحه مولاه من الفضل فضاق الأمر عن ذلك لكثرتهم وعدم استقصاء عددهم بارك الله في جميعهم آمين .

ذكر ما تزوجناه من النساء وما ولدنا من الأولاد

اعلم أن النكاح مرغب فيه في الجملة . وهو سنة من سنن المرسلين وقد يجب على من خاف على نفسه الزنى . وقد وردت أخبار وأحاديث عن السلف في الترغيب فيه .

قال ﷺ : « تناكحوا تناسلوا فإني أباهي بكم الأمم حتى بالسقط »[١٣١] .

وقال عليه السلام : « من أحب فطرتي فليستن بسنتي وهي النكاح فإن الرجل يرفع بدعاء ولده من بعده »[١٣٢] .

وقال عليه السلام : « من كان له ما يتزوج به فلم يتزوج فليس منا » .

وقال عليه السلام : « من أدرك ولده فلم يزوجه فأحدث فالإثم بينهما » .

وقال أبو هريرة : لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد للقيت الله بزوجة . سمعت رسول الله ﷺ يقول : « شراركم عزابكم . إذا تزوج أحدكم عج شيطانه ياويله عصم ابن آدم ثلثي دينه » . هـ .

وقال أبو أمامة أربعة لعنهم الله من فوق عرشه وأمنت عليهم ملائكته : الذي يحصر نفسه عن النساء فلا يتزوج ولا يتسرى لئلا يولد له . والرجل يتشبه بالنساء . والمرأة تتشبه بالرجال وقد خلقها الله تعالى أنثى . ومضلل المساكين . هـ .

ومضلل المساكين هو الذي يمنعهم من فعل الخير ومن الدخول في طريق القوم .

وقال سهل بن عبد الله :[١٣٣] لايصح الزهد في النساء لأنهن قد حبين إلى سيد الزاهدين :

---

(١٣١) في لفظ آخر يوم القيامة ، أخرجه عبد الرزاق في الجامع عن سعيد بن أبي هلال مرسلا .

(١٣٢) أخرجه البيهقي في سننه عن أبي هريرة .

(١٣٣) سهل التستري من كبار الصوفية [٢٨٣ هـ] .

وواففه ابن عيينة فقال : ليس في كثرة النساء دنيا لأن أزهد الصحابة كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية .

وقال عطية بن بشر المازني : « أتى عكاف بن وداعة الهلالي رسول الله ﷺ فقال له ياعكاف ألك زوجة ؟ قال لا يارسول الله . قال ولا أمة . قال لا . قال وأنت صحيح موسر . قال نعم والحمد لله . قال فإنك إذاً من إخوان الشياطين . إما أن تكون من رهبان النصارى . وإما أن تكون مؤمنا . فاصنع مابدا لك فإن من سنتنا النكاح شراركم عزابكم وأراذل موتاكم عزابكم ما للشيطان في نفسه سلاح أبلغ من محتمل العزوبة . ألا إن المتزوجين هم المطهرون المبرؤون من الخنا » . هـ .

ورجح بعض الصوفية ترك التزوج للمريد محتجا بقوله عليه السلام : « خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ . قيل وما خفيف الحاذ ؟ قال الذي لا أهل له ولا ولد » (١٣٤) . هـ .

والتحرير في المسئلة أن المريد إذا دخل طريق القوم متزوجا فليبق على حاله وحملته همة الشيخ بأهله . وإن دخل عزبا بقي حتى يأذن له الشيخ . فإن وقع الإذن وكان تمكن في المعرفة فليسكن حيث شاء . وإن كان لم يتمكن فليسكن قريبا من الشيخ أو يكثر التردد إليه أو بين الفقراء الأقوياء . فإن فعل هذا فلا يضره التزوج أبدا .

وينبغي للفقير أن يقصد بتزوجه امتثال السنة وإعفاف نفسه وإكمال دينه وحفظ بصره والقيام بأمر الزوجة لأنها خلق ضعيف لا تقوم بنفسها . ورجاء الولد الصالح . فإنه المقصود الأهم بتشريع النكاح لقوله عليه السلام : « إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية . وعلم يبثه في صدور الرجال . وولد صالح يدعو له بعد موته » . هـ . [١٣٥]

ولا يقصد بتزوجه مجرد حظ نفسه وشهوة نفسه . فيبطل سعيه وما ينفق في صداقها وعرسها . وأما إذا نوى ما تقدم فكل ما ينفق عليها في صداقها وعرسها ونفقتها فهو في الميزان . وينبغي أن يختار الأصل الطيب والمنبت الطاهر . فإن الفرع يتبع الأصل في الغالب .

---

(١٣٤) أخرجه أبو يعلى في مسنده عن حذيفة .

(١٣٥) أخرجه أبو داود في الوصايا ١٤ ، وابن ماجه في المقدمة ٢٠ .

قال تعالى : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه . والذي خبث لايخرج إلا نكدا »[١٣٦] .

فنجابة الولد في الغالب تكون من نجابة الوالدين . والمراد بالأصل الطيب أهل الدين والصلاح والتقوى . ولا يغره جمال الصورة مع دناءة الأصل .

قال ﷺ : « إياكم وخضراء الدمن . قيل وما خضراء الدمن يارسول الله ؟ قال : المنظر الحسن في المنبت السوء »[١٣٧] .

وينبغي أن يسأل عن دينها قبل العقد عليها . فإن أخبر أنها لا تصلي فلا يعقد لقوله عليه السلام : « تنكح المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها . فاظفر بذات الدين تربت يداك »[١٣٨] .

وليحذر جهده من التزوج من أهل الرئاسة رئاسة المال أو رئاسة الدين . فإن الغالب عليهـا الافتخار ورفع الرأس . فالتزوج من أهل المسكنة والخمول مع الدين أشرف وأقرب لحسن العشرة . فإن تزوج ولم يجد ما كان يرجوه إما من الخُلق أو من الخَلق فليصبر فتلك قسمته الأزلية وعسى أن يكون فيه خير .

قال تعالى : « فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا »[١٣٩] .

والخير الكثير هو الولد الصالح أو الأجر الكبير . فالغالب أن من ظفر بالجمال الحسي لا يكون له عقب كامل . بحيث يكون عالما أو وليا وإنما يخرج الجمال من الجلال .

حكي أن والد مالك تزوج بأم مالك وهي عاتكة بنت شريك الأزدية فوجدها سوداء فامتنع من الدخول بها فوقف متفكرا . فقالت له المرأة : لعلك لم تر ما يعجبك . قال نعم : قالت هل استخرت ربك . قال نعم . فقالت : أتتهم ربك ؟ فاستحيي ودخل بها . فحملت بالإمام مالك رضي الله عنه إمام المذهب .

وينبغي أن يستعمل آداب الدخول وهو أن يصلي ركعتين بعد السلام ويأخذ

---

(١٣٦) سورة الأعراف ، الآية ٥٨ .

(١٣٧) أخرج في الصحـــاح .

(١٣٨) أخرجه البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن أبي هريرة .

(١٣٩) سورة النساء الآية ١٩

بناصيتها . ثم يقول : اللهم إني أسألك خيرها وخير ما جبلتها عليه . وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه . ثم يقرأ سورة الضحى وألم نشرح مرة مرة . وإنا أنزلناه ثلاث مرات . وإن زاد الإخلاص والمعوذتين فحسن .

زاد بعضهم يغسل طرف يديها ورجليها يسمي الله ويصلي على رسول الله ﷺ وينشر بذلك الماء أركان البيت . فإن ذلك ينفي عنه الشر والشياطين بفضل الله وكرمه . فإذا فرغ من هذا كله فينبغي أن يباسطها بالكلام الحسن مما يقتضي الفرح بها والمحبة لها فيقول لها مرحبا بك وأهلا . والله ما ترى معنا إلا الخير نحن لك عوض من أبيك وأمك بنحو هذا من الكلام الطيب . وإن كان طعام لقمها ثلاث لقم . وإن وجدت الحلاوة فهو أكمل . لأن هذا كله مما يزيل دهشتها ويؤنس وحشتها لأن كل داخل له دهشة وكل غريب له وحشة .

إذا كان الرجل على قوته وشجاعته ووفور عقله تصيبه في تلك الليلة دهشة ووهن وهو في منزله وبين أهله . فما بالك ببنت خرجت من بين أهلها إلى منزل لم تعرفه وقرين لم تألفه ولم تعرف ما يصدر لها منه . فلا تسأل عن حالها ورعب قلبها .

فإذا بدأها بالسلام وقابلتها بطيب الكلام وعاملتها بالبر والاكرام تأنست وانشرحت وزال عنها بعض الرعب .

ثم يستعمل السنة في تجريدها من الثياب وتجريده . ثم يلاعبها ويقبلها ثم يمضي إلى ما أباحه الله إن أحس بقوة في نفسه وإلا أمهل حتى يجدها . وليقل قبل الجماع : بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا .

فإذا دخل بها وقضى حاجته مكث في بيته ولا يفعل ما يفعله العوام من فضيحة نفسه بخروجه بدم البكارة . فإن ذلك حرام . بل لا يدخل بيته حتى يخرج كل من في الدار ولا يترك أحدا ينتظره .

فإذا أصبح أمرها بالاغتسال وعلمها كيفية الغسل والوضوء واتقان الصلاة هذا ما يتعلق بآداب الدخول .

وقال الشيخ زروق رضي الله عنه في « النصيحة الكافية » : عدم الملاعبة مع الزوجة يوجب كون الولد غبيا جاهلا والرفق بالمرأة حتى يلتقي ماؤه وماؤها يوجب المحبة لها منه .

ومن أراد ذلك فلا يدنو منها حتى يعلو نفسها وتغار عيناها وتطلب التزامه ومقدمات ذلك أن يكثر ملاعبتها وغمز ثدييها وحكى ذكره بين شفريها .

إلى أن قال : ومتى اختلط ريقه بريق الزوجة أكد ذلك المحبة بينهما كالتنفس في وجهها وتقبيل العينين موجب للفرقة .

إلى أن قال : ولا يجامعها وهي في ثوبها . هـ .

فإذا فرغ من الجماع فليقل في نفسه من غير تحريك لسانه « الحمد لله الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا » [١٤٠] .

ثم ينبغي بعد ذلك أن يحسن عشرتها ويصبر على جفاها . قال تعالى : « وعاشروهن بالمعروف » [١٤١] . فإن النساء يحتجن إلى سياسة كبيرة وصبر كبير لا يقدر على ذلك إلا الرجال الأقوياء . وهنا يظهر صبر الفقير ويعرف ضيقه من تاسيعه . ولذلك كان شيخ شيخنا مولاي العربي رضي الله عنه يحب التزوج للفقير .

سمعته يقول : الصوفية حذروا الفقير من التزوج . وأنا أحبه له لتتسع أخلاقه وتزداد معرفته ويكبر يقينه .

وذكر الغزالي في « الإحياء » [١٤٢] : إن الزوجة تحتاج إلى حسن المعاشرة والرعاية والسياسة . أما المعاشرة فبحسن الخلق معهن واحتمال الأذى منهن ترحما عليهن لقصور عقلهن . وآخر ما أوصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى تلجلج لسانه وخفي كلامه .

جعل يقول : الصلاة وما ملكت أيمانكم لاتكلفوهم ما لا يطيقون الله الله في النساء فإنهن عوان في أيديكم ـ يعني أسارى ـ أخذتموهن بعهد الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله . هـ .

وقال ﷺ : « من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله تعالى ثواب أيوب عليه السلام ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله تعالى ثواب آسية امرأة فرعون » [١٤٣] .

واعلم أنه ليس حسن الخلق هو كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﷺ .

---

(١٤٠) سورة الفرقان ، الآية ٥٤ .

(١٤١) سورة النساء ، الآية ١٩ .

(١٤٢) الكتاب الثاني عشر .

(١٤٣) قوت القلوب لأبي طالب المكي [٣٨٦ هـ] .

فقد كان أزواجه ﷺ يراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل .

وكان ﷺ عند بعض نسائه فوقع بينه وبينها شيء فدفعته في صدره حتى وقع إلى قفاه فعاتبتها أمها . فقال دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك . وذكر الحكاية أيضا في القوت [١٤٤] .

ووقع بينه وبين عائشة كلام فدخل أبو بكر فقال ﷺ : أبوك يحكم بيننا تكلمي أو أتكلم . فقالت بل أنت تكلم ولا تقل إلا الحق . فلطمها أبو بكر حتى أدمى فاها وقال ياعدوة نفسها أيقول غير الحق . فاستجارت برسول الله ﷺ . وقعدت خلف ظهره فقال له عليه السلام : لم ندعك لهذا ولم نرد هذا منك .

وقالت له مرة في كلام غضبت عنده أنت الذي تزعم أنك نبي الله فتبسم رسول الله ﷺ . واحتمل ذلك منها حلما وكرما .

وقال أنس : كان رسول الله ﷺ أرحم الناس بالنساء والصبيان . هـ . كلام الغزالي مختصرا .

وذكر ابن حبيب عن سفيان أن جرير بن عبد الله شكا إلى عمر ما يلقى من غير النساء . فقال له إني لألقى مثل ذلك إني لأخرج إلى الحاجة فتقول ما خرجت إلا إلى فتيات بني فلان تنظر إليهن .

فقال له عبد الله بن مسعود يا أمير المؤمنين أما بلغك أن إبراهيم خليل الرحمن شكا إلى الله تعالى اضرار سارة . فأوحى الله تعالى إليه أن البسها على ما كان فيها ما لم تر عليها خربة في دينها . والخربة الفساد في الدين .

ثم قال ابن حبيب وبلغني أن رسول الله ﷺ قال : من يصبر على سوء خلق امرأته فله بكل يوم وليلة أجر شهيد . هـ .

قلت فمن وقعت في سهمه امرأة صعبة سيئة الخلق فليتذكر هذه الأخبار وليتأس بالنبي المختار ﷺ وسلفنا الصالح وليعلم أن ذلك زيادة به وترقية في معرفته .

وقد قال الشعراني في « العهود » [١٤٥] : قلّ أن تجد وليا إلا وتحته امرأة تؤذيه .

---

(١٤٤) انظر تفسير البيضاوى ، سورة التحريم الآية ١١ .

(١٤٥) العهود المحمدية للإمام عبد الوهاب الشعرانى .

وذكر عن شيخه الخواص[١٤٦] أنه كان تحته امرأة سيئة الخلق . ذكر أنه بقي في عشرتها خمسين سنة . وما مر عليه معها يومان وهما مصطلحان .

وذكر أنه شرب يوما من آنيتها فكسرت عنقها لئلا تضع فمها موضع فمه .

قلت : ولا يسمى صبر الرجل على أذى امرأته وجفاها ذلا ولا غلبة له إنما هو حلم وكرم وستر للعرض . وإلا فاي قوة للمرأة حتى تغلب الرجل .

ولذلك قيل لا يغلبن إلا الكرام ولا يغلبهن إلا اللئام . وتسمية صبره لها غلبة مجاز .

وقال ﷺ : « لا يضربهن إلا شراركم » .

قلت وقد مر علينا شيء من جفاهن وإذايتهن فصبرنا والحمد لله فمن ذلك أني كنت ذات يوم في خلوتي في موضع عال فغضبت بعض نسائي وحركتها الغيرة فصعدت إلي خلوتي وأنزلتني دردبة[١٤٧] . ثم أخرجتني عن باب الدار وشدت الباب وزرقتها[١٤٨] خلفي فبت خارج الدار .

ومن ذلك أني رقدت يوما على لحافها فجذبته من تحتي ورمت بي إلى الأرض .

ومن ذلك أني أتيت لها ذات يوم بجبنتين طريتين في وعاء فوجدتها غضبى فعجنتها برجلها ثم رمت بهما وجهي وكنت جالسا فضربت رأسي في الحائط ضربا شديدا .

وأما السب والدعاء فلا يعد ولا يحصى . وصاحب الغيرة معذور في كل ما يصدر منه . أرأيت لو رأيت امرأتك تذهب إلى غيرك يلعب بها هل كنت تصبر . فالأمر واحد . فكما لا يصبر الرجل على رؤية امرأته مع غيره لا تصبر المرأة على زوجها تراه مع غيرها . فكل ما يصدر من الغيرة حين تهيج غيرتها محمول لمن له عقل وحلم .

وذكر في الجامع الصغير حديثا : أن الغيرى ملحقة بالشهداء فلا تسئل في قبرها . والله تعالى أعلم .

وذكر ابن عرضون عن شريك الهندي قال : إذا أردت أن تذهب الغيرة من المرأة فلا تغار من ضربها ولا من وطء جارية زوجها . فاسقها دماغ أرنب بشراب وهي لا تعلم .

---

(١٤٦) الشيخ علي الخواص .

(١٤٧) دردبة : دحرجة .

(١٤٨) زرق : أوصد الباب بقفل أو غيره .

ومما يذهب بالغيرة على ما زعم بعض الناس أن تسقى المرأة غبار دقيق الشعير من الرحا بماء المطر . فإنه جيد في ذهاب الغيرة . هـ . منـه .

ثم قال الغزالي : وأما الرعاية فهي أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة . فهي التي تطيب قلوب النساء .

وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن في الأعمال والأخلاق . حتى روي أنه كان يسابق عائشة في العدو فسبقته يوما ثم سبقها في بعض الأيام . فقال هذه بتلك . وفي الخبر أنه كان أفكه الناس مع نسائه . هـ . والفكاهة : المزاح .

وقال لعائشة أتشتهين أن تنظري إلى لعب الحبشة . فوقف في باب المسجد يسترها . وجعلت تنظر . وكان يقول اعرفوا للجارية الحديثة السن حقها .

وقال ﷺ : « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله » .

وقال عليه السلام « خيركم خيركم لنسائه . وأنا خيركم لنسائي » .

وكان عليه السلام كثيرا المزاح مع أهله . ودخل ذات يوم على عائشة فوجدها نائمة فربط شعرها إلى قوائم السرير . ثم نادى من الناحية الأخرى . فقامت وهي متعلقة بالسرير . فضحك النبي ﷺ .

ثم قال الغزالي رضي الله عنه : ينبغي للرجل أن يكون مع أهله مثل الصبي ، فإذا التمس ما عنده وجد رجلا .

وقال لقمان : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي . فإذا كان في القوم كان رجلا .

وقال عليه السلام لجابر رضي الله عنه : « هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك وتضاحكها وتضاحكك » . هـ .

ومدحت امرأة زوجها بعدما مات فقالت : كان والله ضحوكا إذا ولج سكوتا إذا خرج آكلا ما وجد . غير سائل عما فقد . هـ .

وقال ﷺ : « إني لأبغض الذواق الطلاق الذي لا يأكل ما وجد ويسأل عما فقد . وهو عند أهله كالأسد وخارجا كالثعلب لكن علي لفاطمة يأكل ما وجد ولا يسأل عما فقد وهو عندها كالثعلب وخارجا كالأسد » . هـ .

وأما السياسة فهي أن لا ينبسط في الدعابة وحسن الخلق والموافقة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته بل يراعي الاعتدال فلا يدع الهيبة والانقباض مهما رأى منكرا ولا يفتح باب المساعدة على المنكرات البتة . بل مهما رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتنع وامتعظ .

قال الحسن : والله ما أصبح رجل يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله في النار .

وقال عمر : خالفوا النساء فإن في خلافهن البركة . هـ .

وقال ﷺ : « تعس عبد الزوجة » . وإنما قال ذلك لأنه إذا أطاعها في هواها فهو عبدها . وقد تعس لأن الله تعالى قد ملكه أمرها فملكها هو نفسه . فقد عكس الأمر وقلب القضية وأطاع الشيطان . كما قال تعالى : « ولآمرنهم فليغيرن خلق الله »[149] إذا حق الرجل أن يكون متبوعا لا تابعا . وقد جعل الله تعالى الرجال قوامين على النساء . وسمى الزوج سيدا . فقال تعالى : « وألفيا سيدها لدى الباب »[150] .

فإذا انقلب السيد مسودا فقد بدل نعمة الله كفرا . ونفس المرأة على مثل نفسك إن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا . وان أرخيت عنانها يسيرا جذبتك ذراعا . وإن أجمحتها وشددت يدك عليها في محل الشدة ملكتها . هـ .

وهذا الأمر يكون عند أول صحبتها لتستمر على ذلك . وأما إن أرخيت لها أول مرة صعب عليك ردها والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم .

ثم نرجع إلى ما كنا بصدده من الفهرسة فنقول لما من الله علينا بحفظنا في صغرنا من شهوة الفرج المحرمة . متعنا الله به في الحلال بعد كبرنا كما هو عادته سبحانه فيمن ترك شيئا من الحرام أن يمتعه بأكثر منه من الحلال .

فتزوجت ست نسوة خمس أبكار وثيب . أولهن زوجتي رحمة بنت محمد بن أحمد الجعيدي . فازداد لي معها اثنا عشر ولدا وسقطا . وستة ذكور وست إناث مات عشرة وبقيت بنتان . فالله يحفظهما من عواقب الزمان آمين .

ثم تزوجت فاطمة بنت الحسين بن عجيبة ثيبا فولد لي معها بنتا سقطا . ثم طلقتها لأمر اقتضى ذلك مع سابق الأزل .

---

(١٤٩) سورة النساء ، الآية ١١٩ .

(١٥٠) سورة يوسف ، الآية ٢٥ .

ثم تزوجت منانة بنت الفقير الصالح والولي الواضح سيدي عبد الهادي تبُّ فولد لي منها بنتا سقطا . ثم ماتت بعد سبعة أشهر من البناء بها . فالله يرحمها ويجعلها لنا من نساء الجنة .

ثم رحمة بنت الفقير الصادق المقدم الزراد . فازداد لي معها ستة أولاد أربعة ذكور وبنتان مات أربعة وبقي اثنان . وهما محمد المهدي ولد في ذي الحجة سنة خمس عشرة ومائتين وألف . وعبد السلام ازداد ليلة الثلاثاء آخر رمضان سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف . فالله ينبتهما نباتا حسنا ويجعلهما خلفا صالحا ذاكرين عارفين آمين .

ثم تزوجت فاطمة بنت الفقير الصالح والولي الواضح سيدي الهاشمي خرباق سنة خمس عشرة ومائتين وألف فازداد لي معها خمسة ذكور وأنثى مات خمسة وبقي واحد وهو عبد الباقي . ولد في رمضان سنة إحدى وعشرين ومائتين وألف . فالله يبقيه لأمه حتى يكون عالما صالحا عارفا بالله آمين .

ثم تزوجت الشريفة منانة بنت السيد محمد بن أحمد الرحموني ثم العلمي . والشرفاء الرحمنا من ذرية سيدي محمد ابن مولانا عبد السلام بن مشيش رضي الله عنه فولد لي معها بنت ثم ذكر سميته محمد الصديق في العشر الأواخر من رمضان سنة عشرين ومائتين وألف فالله ينبته نباتا حسنا آمين ويجعله خلفا صالحا ذاكرا عارفا آمين . ثم ولد لي معها ولد سميته أحمد الحاضر . ثم أبدلته خالته زوجة شيخنا بأحمد الشاهد ولد برابع جمادى الثانية سنة اثنتين وعشرين ومائتين وألف فالله ينبته نباتا حسنا . ويجعله وليا صالحا آمين . ثم ولد لي معها ولد في شهر صفر سميته عبد القادر سنة أربع وعشرين ومائتين وألف فالله ينبته نباتا حسنا ويجعله بارا تقيا آمين .

فجملة النساء التي في ملكي اليوم أربعة اثنتان شريفتان واثنتان عاميتان . والشرف الحقيقي هو التقوى .

قال تعالى : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم »[١٥١] .

وقال ﷺ : « آل محمـــد كل تقي » .

وعندي داران كما تقدم وهما قائمتان بالله في كل ما نحتاج إليه من مطعم ومشرب وملبس . فأهلي والحمد لله أغنياء كل زوجة لها كسوة بنات الأغنياء وفراش الأغنياء كل

---

(١٥١) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .

تك من عند الله إذ ليس عندي خراج معلوم ولا راتب مرتب إلا ما يفتح الله به من الغيب . ومع كل دار زاوية معمورة بالفقراء ويخرج إليها الطعام في الصباح والغداء والعشاء وفي كل زاوية فقيه ومؤذن مرتبان فلله الحمد وله الشكر .

وجملة ما ازداد عندنا من الأولاد في هذا الوقت وهو عام أربعة وعشرين ومائتين وألف : واحد وثلاثون . والأحياء تسعة وهذا التاريخ مؤخر عن تاريخ الفراغ من تبييض الفهرسة وهو إلحاق وإصلاح بعد تمامها كما ترى تركت له بياضا احتياطا حيث عندي ثلاث نسوة كلهن صغار في سن من يحمل فلا أدري ما يحدث الله منهن فيما يستقبل . كما فعلت في عد ما ألفت من الكتب منها ما تأخر عن الفهرسة فلا يدخلك فيه تناقض .

وفي موت الصبيان أحاديث كثيرة أفردت بالتأليف منها ما في الصحيح « من مات له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحنث كن له حجابا من النار » .

وفي حديث آخر عنه عليه السلام قال : « لأن أقدم سقطا خير من أن أخلف مائة فرس تجاهد في سبيل الله » .

إلى غير ذلك من الأحاديث فالله يجمعنا معهم في الفردوس الأعلى آمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ذكر ما كنا حصلناه من العلوم الظاهرة والباطنة

اعلم أن أصول العلوم أربعة علوم . ومنها تتفرع سائر العلوم علم الأذهان . وعلم اللسان . وعلم الأبدان . وعلم الأديان . لأن العلم إما أن يرجع إلى الأذهان . كالمنطق والحساب وهي التعاليم . أو يرجع إلى اللسان كالنحو والشعر وهي الأدبيات . أو إلى الأبدان كالطب والتشريح . أو إلى الأديان ظاهرا وباطنا كالفقه والتصوف وعلم الكلام . فهذه أجناسها .

وقد علم أن تمايز العلوم إنما هي بتمايز موضوعاتها فموضوع العلم إن كان هو المعلومات من حيث التصور والتصديق فهو علم المنطق . فهو العلم الباحث عن الموضوعات التصورية والتصديقية من حيث يتوصل فيها بالمعلوم إلى المجهول ويشتمل على مباحث الدلالة ومباحث الألفاظ من حيث دلالتها وكليتها وجزئيتها وذاتيتها وعرضيها وغير ذلك . ومبحث اكتساب التصور بالمعرفة . ومبحث التصديق بالقضية . ومباحث أقسام القضايا وأحكامها من تناقض وعكس واستلزام . ومباحث القياس . ومباحث الحجج الخمس : البرهان والجدل والخطابة والشعر والمغالطة .

وإن كان موضوع العلم هو الموجود من حيث هو أو ذات واجب الوجود أو مجموعهما على الخلاف في موضوعه فهو العلم الالهي .

قيل وجعله الأقدمون خمسة أنواع : الأول : الامور العامة كالوحدة والكثرة والعلة والتقدم ونحوها . الثاني : مبادىء الموجودات الثالث : الصانع وما يجب له وما يمتنع عليه ـ الرابع : تقسيم المجردات ـ الخامس : أحوال النفس بعد المفارقة .

وزاد أهل الإسلام نوعا سادسا سموه السمعيات وهو مبحث النبوة والمعاد .

وزادت المعتزلة مبحث العدل المعروف عند الأشاعرة بالأفعال . وزادت الإمامية من الشيعة الإمامة فتبعتهم السنية . وهذا هو علم الكلام عندنا . وسموه إلاهيا لاشتماله على مباحث الإله تعالى وهو معظمه وسمي الكلام إما لكثرة الكلام فيه أو لأنه يورث قدرة عليه أو اشتهر من مسائله الكلام لكثرة الخوض فيها .

ثم ان القسم الأول من الخمسة أثبته المتكلمون ونبهوا على الصحيح والباطل ـ وأما الثاني فلا حاصل له إذا العالم عند أهل الإسلام كله حادث ولا هيولى (أي مادة) ولا قدم ولا علة ولا معلول . وأما الثالث فهو المقصد والثبوت على الوجه الصحيح من كونه تعالى واجب الوجود فاعلا مختارا إلى غير ذلك لا على ما يعتقده الفلسفيون أبعدهم الله . وأما الرابع فلا حاصل له أيضا عند الجمهور لأن المجرد إن أريد به الحادث الزائد على الجوهر والعرض فلا يثبته الجمهور وان أريد به العقول العشرة فهي باطلة باتفاق ما خلا الواجب الحق تعالى فلا نسميه عقلا إذ أسماؤه تعالى توقيفية ـ وأما الخامس فهو داخل في مبحث السمعيات . والمعاد عندنا جسماني وروحاني . لا روحاني فقط كما يقولون أضلهم الله .

وإن كان موضع العلم ما يبحث فيه عن حقائق الأشياء والاطلاع على مقاديرها فهو علم الفسلفة . وهو على قسمين إما مجرد عن المادة في الذهن فقط وإما مقيد بالمادة . فالأول يقال له العلم الرياضي . والثاني العلم الطبيعي .

فالعلم الرياضي عندهم أربعة أنواع الهندسة والحساب والهيئة وعلم الأصوات والنغمة .

أما الهندسة فهو العلم الباحث عن المقدار أعني الكم المتصل القار في الذات ومادته النقطة وهي شيء لا ينقسم كالجوهر الفرد في الطبيعيات . فإذا اجتمعت النقط وكانت بحيث تقبل القسمة الوهمية في جهة واحدة سميت خطاً أو في جهتين سميت سطحا أو

في ثلاث سميت جسما تعليميا وهو مجموع الطول والعرض والعمق والطول هو الامتداد المفروض أولا والعرض هو الامتداد المفروض ثانيا والعمق هو الامتداد المفروض ثالثا . ويقع بحث الهندسة في هذا المنحى باعتبار الخطوط والدوائر والأشكال وما يتعلق بذلك . وفيه أنواع مبسوطة في محلها .

وأما الحساب فهو العلم الباحث عن العدد من حيث انقسامه إلى الزوج والفرد والصحيح والكسر وغير ذلك . وما يعتريه من الأحوال كالجمع والضرب والقسمة وغير ذلك ويشتمل على أنواع مبسوطة في محلها .

وأما الهيئة فهو العلم الباحث عن الأجرام البسيطة فلكية أو عنصرية من حيث الكم والكيف والحركة والسكون وغير ذلك ويشتمل باعتبار ما فيه من النظر في الكواكب وسيرها والأرض ومعمورها والزمان وأحواله وغير ذلك على أنواع مبسوطة في محلها .

وأما علم النغم فهو العلم الباحث عن الصوت من حيث تركبه مناسبا مستلذا وتقدير الإيقاع على الآلات المخصوصة به ويشتمل على أنواع مبسوطة في محلها .

وإن كان موضوع العلم الجسم الطبيعي المادي من حيث ما يعتوره من التغيرات كما وكيفا فهو العلم الطبيعي . ويشتمل على أنواع يقع فيه البحث عن المواد عموما وعن السماوات والعناصر والآثار العلوية والكون والفساد والمعادن والنبات والحيوان وفي النفس وقواها وما يستتبع ذلك من الانفعالات وقد يكون ذلك في عموم الجسم وهو علم السحر . وعلم الطلسمات . وعلم السيميا . وتفصيل ذلك يطول .

وقد جعل القرافي [١٥٢] السحر جنسا لثلاثة أنواع الاول السيمياء وهو عبارة عما تركب من خواص أرضية كدهن خاص أو مائعات خاصة أو كلمات خاصة توجب تخيلات خاصة وإدراك الحواس الخمس . أو بعضها الحقائق خاصة من المأكولات والمشمومات والمبصرات والملموسات والمسموعات وقد يكون لا حقيقة له بل تخيل صرف . وقد يستولي ذلك على الأوهام حتى يتخيل الوهم مضي السنين المتطاولة في الزمن اليسير وتكرر الفصول وتحول السن وحدوث الاولاد وانقضاء الأعمار في الوقت المتقارب من الساعة ونحوها وسلب الفكر الصحيح بالكلية ويصير أحوال الإنسان مع تلك المحاولات كحالة النائم من غير فرق ويختص ذلك كله بمن عمل له شيء ومن لم يعمل له لا يجد شيئا من ذلك . هـ .

---

(١٥٢) شهاب الدين بن إدريس القرافي الصنهاجي [٦٨٤ هـ] .

قلت : وقد يكون كرامة لولي أو تأييدا لشاك كما وقع لفقير شاور الشيخ في زيارة أمه فعطاه الشيخ بثوبه فرأى نفسه في بلد أمه فبقي عندها أربعة أشهر ثم أراد الرجوع فوجد نفسه عند الشيخ . وقد قرأ القارىء بعده خمسة عشر حزبا .

وكقضية الرجل الذي استغرب أحوال الموقف يوم القيامة كيف يكون واحد يقف خمسين ألف سنة والآخر ساعة ثم ينقضي المحشر . فذهب يغتسل في دجلة غسل الجمعة قرب الوقت بساعة فلما اغتسل لم يجد ثيابه فتبع الطريق . فوقع في مصر فدخل في حانوت طباخ فستره وتزوج هناك وبقي سبع ستين وولد له أربعة أولاد ثم ذهب يغتسل للجمعة في النيل . فلما اغتسل وجد ثيابه الاولى فتبع الطريق فدخل بغداد فوجد الناس لم يصلوا الجمعة من ذلك اليوم . وقد ذكر القضية بطولها القرغاني[١٥٣] في شرح تائية ابن الفارض .

النوع الثاني من علم السحر علم الهيميا وامتيازها من السيمياء بأن ما تقدم مما يضاف للخواص الأرضية يضاف للآثار السماوية من الاتصالات الفلكية وغيرها من أحوال الأفلاك فيحدث جميع ما تقدم ذكره وخص هذا النوع بهذا الاسم تمييزا بين الحقائق .

النوع الثالث بعض خواص الحقائق من الحيوانات وغيرها كما يؤخذ سبع من الحجارة فيرمى بها نوع من الكلاب شأنه إذا رمي بحجر عضه وبعض الكلاب لا يعضه . فالأول إذا رمي بهذه السبعة أحجار فعضها كلب وقطعت بذلك ومزجت في ماء فمن شرب منه ظهرت عليه آثار خاصة نص عليها السحرة . وهذا النوع من الخواص المغيرة لأحوال النفوس .

وأما خواص الحقائق المختصة بانفعالات الأمزجة صحة أو سقما نحو الأدوية والأغذية من الجماد والنبات والحيوان المسطورة في كتب الأطباء . فليس هذا من علم السحر بل من علم الطب . ويختص السحر بما كان سلطانه على النفوس خاصة .

وأما الطلسمات فحقيقتها نقش أسماء خاصة لها تعلق بالأفلاك والكواكب على زعم أهل هذا العلم في أجسام من المعادن أو غيرها فيحدث لها خاصية ربطت بها في مجاري

---

(١٥٣) سعيد بن عبد الله القرغاني ٧٣٠ هـ ، تلميذ صدر الدين القونوي ، وشرحه للتائية يسمى منتهى المدارك حيث انتهى من تأليفه في أواسط رمضان المبارك بالديار المصرية في سنة ثلاثين وسبعمائة كما هو ثابت بمعرفة القرغاني في نهاية الجزء الثاني من الكتاب صـ ٢٣٨ .

العادات فلابد في الطلسم من هذه الثلاثة الأسماء المخصوصة وتعلقها ببعض أجزاء الأفلاك وجعلها في جسم من الأجسام . ولابد مع ذلك من قوة نفس صالحة لهذه الأعمال فليس كل النفوس مجبولة على ذلك .

ومن هذا النوع الأوفاق وهي ترجع إلى مناسبة الأعداد وجعلها على شكل مخصوص مربع يكون ذلك المربع مقسوما بيوتا فيوضع في كل بيت عدد حتى تكمل البيوت فإذا جمع صف كامل من أضلاع المربع فكان مجموعه عددا وليكن عشرين مثلا فليكن الأضلاع الأربعة إذا اجتمعت كذلك ويكون المربع الذي هو من الركن إلى الركن كذلك فهذا وفق ، فإن كان العدد مائة ومن كل جهة كما تقدم مائة فهذا له آثار مخصوصة ويقال إنه خاص بالحروز ونصر من يكون في الولاية . وإن كان خمسة عشر من كل جهة فهو خاص بتيسير العسير وإخراج المسجون ووضع الجنين من الجنين وتيسير الوضع وكل ما هو من هذا المعنى .

وكان الغزالي رحمه الله يعتني به كثيرا حتى إنه ينسب له ، وضابطه بطل ، زهج ، واحد ، كما هو مقرر في محله .

وإن كان البحث في المركبات الجامدة وما يعتريها من التغيرات فهو علم الكيمياء .

وإن كان البحث في المركبات النامية غير الحساسة فهو علم الفلاحة .

وإن كان في خصوص الحيوان غير الناطق باعتبار حفظ الصحة وإعادتها فهو علم البيطرة .

وإن كان في خصوص الناطق فإن كان نظره في الاستدلال بظاهره على صفات نفسه من شجاعة أو سماحة أو ضدهما مثلا فهو علم الفراسة الحكمية .

وإن كان نظرا في حفظ الصحة واستعادتها بدفع المرض فهو علم الطب . وهذه فنون من العلم الطبيعي وهي مأخوذة في الملة الإسلامية ولذا نبهنا عليها .

وإذا أضيف العلم الطبيعي إلى الرياضي يسمى الفلسفة فالفلسفة مركبة من العلم الرياضي بأنواعه والعلم الطبيعي بأنواعه المتقدمة فإذا أضيفت الهندسة والحساب إلى المنطق فهي التعاليم . وكانت تلقن للصبيان ليتعلموها فيرتاضوا . إذ يكفي فيها مجرد العقل بلا حاجة إلى تجريب ولا مشاهدة ولا نقل .

فهذه علوم الأقدمين على الإجمال أخذ المسلمون منها ما عمت منفعته وعظمت كالإلهي والمنطق والحساب والطب والتفسير وما يحتاج إليه من علم الهيئة ونحو ذلك من

المهم . والأكثر منها متروك اليوم إما لعدم الحاجة إليه . أو لقصور الهمم عنه .

وإن كان موضوع العلم الكتب الإلهية المنزلة على الأنبياء فهو علم الناموس الأعظم ويسمى السياسة السماوية وهو أحكام الوحي والنبوءة . ولنقتصر على خصوص نبينا محمد ﷺ وما نزل عليه من الوحي وما صدر عنه من حكم وحكمة لأنه جامع .

فنقول : إن كان نظرا في الكتاب المنزل عليه ﷺ فهو علوم القرآن فإن كان نظرا في رقم اللفظ فهو علم الرسم . وإن كان في التلفظ فهو علم القراءة . وإن كان في فهم معناه فهو علم التفسير وفيه علم الناسخ والمنسوخ وعلم أسباب النزول وغير ذلك من العلوم الكثيرة . والعلوم كلها في كتاب الله تقتنص بواسطة علم التفسير وفهم أهل الحقائق والإشارات .

وإن كان نظرا في استنباط الأحكام منه فإن كان دليلها تفصيليا فهو نظر الفقيه . وإن كان إجماليا فهو نظر الأصولي ، فبانضمام ما أخذ منه تفصيلا من الأحكام الشرعية إلى ما أخذ من السنة كذلك ، ومن الإجماع والقياس وسائر أنواع الاستدلال ، يحصل مجموع الفقه فهو العلم الباحث عن الأحكام الشرعية العلمية المكتسب من أدلتها التفصيلية وتشتمل على ثلاثة أنواع العبادات والعادات والمعاملات وقد يلاحظ ما يختص بأحكام التركة وهو فقه المواريث وقد يعتبر كيفية قسمها وما ينجرُّ إلى ذلك وهو علم الفرائض فهو مركب من فقه وحساب وبانضمام ما أخذ منه إجمالا إلى ما أخذ من السنة كذلك والإجماع والقياس وسائر الاستدلالات مع كيفية التعادل وصفة المجتهد يحصل علم أصول الفقه . فهو العلم الباحث عن الدليل الشرعي من حيث الإجمال مع معرفة التعادل وصفة المجتهد . وهل العلم مأخوذ من الفقه أولا ثم صار أصلا له . ومعنى ذلك أن الذي وقع به خطاب الله إلى المكلفين هو الأدلة التفصيلية وهو الفقه .

ثم لوحظ فيه جهة إجمال فاتخذت منها قواعد مثلا قوله تعالى : « وأقيموا الصلاة »[١٥٤] .

له جهتان جهة خصوص وتفصيل وهو كونه أمرا بالصلاة وهو نظر الفقيه وجهة عموم وإجمال وهو كونه أمرا في الجملة وهو نظر الأصولي ينظر في الأمر مثلا عند الإطلاق وأنه للوجوب أو للندب أو غير ذلك . وكذلك في النهي وسائر الأقوال . وإنما يتلقى ذلك

---

(١٥٤) سورة البقرة ، الآية ٤٣ .

من استقراء الأوامر الجزئية وأنها مستعملة في الوجوب أو الندب . فدل تواترها على ذلك على أن الأمر كذلك . وكذا القواعد الأصولية كلها مأخوذة من الجزئيات الفرعية .

ولما تشابهت عدة مسائل شرعية في معنى واحد اعتبر ذلك المعنى قاعدة يستنبط منها ما ينزل من أمثالها فصارت تلك القاعدة فرعا من تلك الجزئيات بحسب الوجود الخارجي . إذ لولا هي لما تعلقت وهي أصل لها ولأمثالها في التعقل الذهني إذ لولا هي ما تحققت .

وهذا معنى استخلاص دقائق الموجودات كلها على مذهب من يرى أن الاسم موضوع للمعنى الخارجي .

وبحسب الاختلاف في تأويل النصوص الشرعية واستخلاص القواعد منها اختلفت المذاهب الفقهية ، ثم كل ذي مذهب كمالك والشافعي رضي الله عنهما وغيرهما . تعتبر فروعه في مذهبه تستخلص منها قواعد خاصة بمذهبه . ومن تضلع منها كان له الاجتهاد في ذلك المذهب .

كما أن من تضلع من فن الأصول الجامع المذكور يمكنه الاجتهاد المطلق . وقد أدرجوا في الأصول شيئا من الأحكام ومن اللغة وعلم الكلام لاستمداده من هذه الفنون كما يدرجون فيها من علم المنطق ومن علم الجدل للاستعانة . فاتسع علم الأصول كما اتسع العلم الإلهي وعلم الطب بما أدرج فيهما .

وما ذكرنا من اقتباس فني الأصول والفقه من القرآن هو باعتبار استنباط الأحكام الفرعية .

وإن كان نظرا في استنباط الأحكام الأصلية الاعتقادية فذلك علم أصول الدين وهو علم التوحيد وعلم الكلام ففي كتاب الله بحمد الله ما يحتاج إليه من إثبات العقائد وسائر السمعيات والاستدلال على ذلك والرد على الخصوم مايكفي ويغني عن نقل العلم الإلهي عن الفلسفة .

وذلك أن حاصل هذا العلم ثلاثة أنواع : الإلهيات ونبويات وسمعيات وهي كلها مذكورة في القرآن بأبلغ وجه . ما يحتاج إليه الأول من الأدلة كحدوث العالم المشار إليه بخلق السماوات والأرض وخلق النفوس وغير ذلك . وهو مبسوط في مواضع كثيرة منه .

وما يحتاج إليه الثاني من ذكر أدلة النبوءة كانشقاق القمر والتحدي بالقرآن وغير ذلك .

وأما القسم الثالث فيكفي فيه الإخبار وهو مذكور فيه . بما أنكرته الخصوم من ذلك إمكانا ووجودا كالمعاد استدل عليه كقوله تعالى : « كما بدأنا أول خلق نعيده »[155] .

وقوله تعالى : « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة »[156] . وكتاب الله تعالى هو الشفاء من كل سقام والنجاة من كل هلاك والهدى من كل ضلال نسأل الله تعالى أن يرزقنا فهم أسراره والتمسك به حتى نلقاه آمين .

وإن كان نظرا في استنباط الأحكام الباطنة مما يرجع إلى استصلاح القلب بتخليصه من الصفات المذمومات وتحليته بالصفات المحمودات ليستعد للمواهب والتجليات ومراعاة آداب الأوقات فيما أخذ من ذلك مع ما أخذ من السنة هو علم التصوف واختلفوا في تعريفه .

وأخص التعريفات ما قاله الشيخ زروق رضي الله عنه : هو صدق التوجه إلى الله بما يرضى من حيث يرضى وقد أدرجوا فيه قسطا من الفقه مما يرجع إلى العبادات لتوقف صلاح الظاهر عليه .

ونوعه الشيخ أبو حامد الغزالي تحريرا كما في « القوت »[157] إلى أربعة أقسام العبادات والعادات والمهلكات والمنجيات وكل ذلك مذكور في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وأقوال العلماء الراسخين وفتوحات الأولياء العارفين .

وإن كان نظرا في أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقاريره فهو علم السنة .

وإن كان نظرا في الرواية توثيقا وتضعيفا أو في المروي من حيث هو مرفوع أو موقوف أو غير ذلك فهو علم الحديث . وفيه أنواع كثيرة مبسوطة عند أهله .

وإن كان نظرا في استنباط الأحكام منه فرعا أو اعتقادا ظاهرا أو باطنا فهو على ما مر في القرآن .

فالعلوم الشرعية الكبار هذه الستة علم التفسير وعلم الحديث وعلم الفقه وعلم الأصول وعلم أصول الدين وعلم التصوف . وثلاثة منها هي المقصودة بالذات وهي

---

(155) سورة الأنبياء : الآية 104 .

(156) سورة يس : الآية 79

(157) كتاب قوت القلوب لأبي طالب المكي .

علم الفقه وعلم أصول الدين وعلم التصوف وقد نشأ من علم الأصول علمان آخران علم الخلاف . وعلم الجدل .

وإن كان موضوعه أحوال النبي ﷺ وأصحابه وما عرض له منذ ولادته إلى أن توفاه الله تعالى إلى كرامته من حيث حكايته . ذلك على التعميم فهو علم السيرة . ويقال له علم السير وربما يقال لما وقع له عليه السلام ولأصحابه من الحروب مع الكفرة علم المغازي . ولذلك يجمع بينهما أحيانا فيقال علم المغازي والسير لما ذكر فيهما من أخبار أجداده ﷺ وأنسابهم وتشعب القبائل في ذلك ما يتعلق بالمقصود مع ما يناسب ذلك من ذكر بلده ﷺ مكة وذكر بيت الله الحرام ومن بناه ومن احترمه من الملوك الأول ومن سعى في نقضه وما يتعلق بذلك كله وهو شعبة من علم التاريخ .

وإن كان موضوعه خصوص أحواله ﷺ الشريفة وأخلاقه الكريمة وفي ملبسه ومأكله ونومه ويقظته ونحو ذلك فهو علم الشمائل .

فهـذه العلوم الثلاثة مع ما مر من علم الرسم وعلم القراءات علوم شرعية ونعني بالشرعية ما تُلُقِّي من الشرع أو كان مأخوذا في هذه الملة المحمدية . مما للشرع فيه مدخل ولم يكن من علوم الاوائل .

وعلى هذا فعلوم العربية يصح أن يقال فيها شرعية بهذا الاعتبار لأنها في هذه الملة اعتبرت ويستعان بها فيها ويصح أن يقال إنها وسائل بعيدة .

وعلى هذا يقال علوم الملة إما شرعية وإما لغوية وقد أدرجنا علم الكلام في الشرعيات مع كونه من علوم الأوائل لأنه مقرر في الكتاب والسنة بما أغنى عن كلام الأوائل كيف وهو أحد ركني الشريعة فإن المطلوب بالدعوة إنما هو الاعتقاد والعمل بوجوده عند الأوائل ليس لكونه علما لهم . لكونه مما تضافرت عليه الشرائع واتفقت عليه العقلاء، كما قال ﷺ : « أولاد علات أمهاتهم شتى وأبوهم واحد » أي متفقون في أمر التوحيد .

ولو أردنا الشرع ما يباح تعاطيه شرعا أو ما له إعانة في الشرع لكانت العلوم المتداولة كلها شرعية ولا يلتفت إلى من يحرم علوم الفلسفة والمنطق مثلا . فإن جميع الوسائل تعتبر مقاصدها . فمن تعلم علما ليتوصل به إلى واجب أو مندوب أو مباح وجب تعلمه أو ندب أو أبيح حتى إن السحر من تعلمه ليؤذي به معصوم الدم كان تعلمه حراما ولو تعلمه بمجرد أن يتحققه ليميز بينه وبين المعجزة أو ليتحقق فاعله عندما ينسب إليه ليقع الحكم عليه بالقتل مثلا أو الأدب كان تعلمه لذلك جائزا أو واجبا لأن الحكم على الشيء

فرع عن تصوره فالحكم بالحد على الساحر فرع تصور الساحر وتصور الساحر فرع تصور السحر فافهم هذا المقصد ولا تلتفت إلى أراجيف المتنطعين واعرف بذلك قدر من أوتي جوامع الكلم ﷺ . إنما الأعمال بالنيات .

والعلم بالشيء خير من الجهل به فإن العلم غذاء العقل ونزهة الروح وصفة الكمال وإنما تختلف الثمرات . قاله الشيخ اليوسي .

ثم قال : وإن كان موضوع العلم اللغة أعني كلام العرب وهي ألفاظهم التي يتحاورون بها . فإن كان نظرا في فهم معناها فهو علم متن اللغة . وإن كان نظرا فيما يعتور اللفظ من تصحيح وإعلال ونحوه فهو علم التصريف وإن كان نظرا فيما يعتري اللفظ في آخره من حركات وسكنات وبناء فهو علم الإعراب ويسمى مجموعها علم النحو وقد يراد بالنحو الثاني فقط لأنه هو القديم الموضوع أولا .

وإن كان نظرا في صورة اللفظ ومادته فهو علم الاشتقاق ويندرج في النحو لأنه شعبة من التصريف .

وإن كان نظرا في إيراد اللفظ الواحد بالوجوه المختلفة في وضوح الدلالة فهو علم البيان .

وإن كان نظرا في تحسين اللفظ بوجوه معنوية أو لفظية فهو علم البديع . ويسمى الجميع علم البيان تغليبا . وهذا كله في الكلام العربي على الإطلاق .

فإن كان في خصوص الموزون منه فهو علم الشعر . وإن كان نظرا في نفس الوزن ومعرفة الزائد والناقص من الحروف والحركات فهو علم الميزان . وإن كان نظرا في ختم البيت فهو علم القافية . ويسمى المجموع علم العروض .

وإن كان نظرا فيما يحسن إيراده في الشعر إفرادا وتركيبا وما لا يحسن . فهو علم نقد الشعر .

وإن كان نظرا في صنعة الشعر والقدرة على صوغه فهو علم الشعر الخاص أي علم الصنعة وبها يتصف الإنسان بكونه شاعراً .

ويقابله علم الكتابة من المنثور أعني القدرة على صنع الرسائل والتحليات والتمليحات ويسمى ذلك علم الكتابة . ويقال لصاحبه كاتب .

وتسمى البراعة في الصنعة الشعرية بالاتساع في فنونه واستنباط عيونه وسلوك السهل

منه والصعب والانسحاب معه في كل شعب علم الأدب ويطلق على العلوم اللغوية كلها .

ويقال له أيضا علم العربية وهي بإزاء المنطق في الفلسفة لأنه موضوع لإصلاح الفكرة وهي موضوعة لإصلاح الجنان غير أنها لما تعلقت باللفظ اختصت منفعتها باللغة العربية ، والمنطق لما تعلق بالمعاني وهي مشتركة في اللغات والأمم عمت منفعته . فلذلك نقل من العجمية إلى العربية . فكان نافعا في الطرفين بخلاف العلم المتعلق باللسان فهو مختص إذ لكل قوم لسان ليس لغيرهم كما قال تعالى : « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » [١٥٨]

فعلوم العربية مخصوصة بالعربية غير أنه يجب أن يعلم أن هذا إنما هو فيما يرجع إلى ألفاظهم الموضوعة لمعانيها وتراكيبها المخصوصة .

أما ما يرجع إلى الأغراض المؤداة فهي مشتركة فقد بلونا لغة العجم لاسيما لغة البربر فوجدناها مشتملة على جميع ما في لغة العرب من المقاصد والمعاني وما فيها من تقديم وتأخير وذكر وحذف وإيجاز وإطناب وغير ذلك . لايكاد يوجد بين اللغتين فرق إلا مجرد العبارات وخصت العربية بالفصاحة والسلامة وبعض الأساليب الحسان والله تعالى أعلم .

وإن كان نظرا في تفسير خصوص ما أشكل من الألفاظ اللغوية معنى فهو علم غريب اللغة . وقد صنف فيه كثير من الأئمة . ومثل ذلك يكون في ألفاظ القرآن وألفاظ الحديث . فيقال له غريب القرآن وغريب الحديث وصنفوا فيه .

وقد يقع البحث في حروب العرب وما يقع فيها من الكلام شعرا ونثرا وغير ذلك وهو علم أيام العرب .

فإن الأيام هي الحروب وأصل ذلك أنهم يقتتلون في يوم من الأيام فيكون الظفر للبعض فيقولون ظفرنا بهم يوم كذا ولنا عليهم الظفر يوم كذا . ثم توسعوا فقالوا : لبني فلان يوم على بني فلان . وجرت بيننا وبينهم أيام يريدون الحروب . وهي مذكورة في كتب الأدب بأسمائها .

---

(١٥٨) سورة الروم ، الآية ٢٢

وإن كان موضوع العلم الأخبار غير ما مر فإن كان نظرا في الدنيا ومداها وأعمار الناس واختطاط البلدان وخلالها ونحو ذلك مما ينظر في ابتداء وجوده ومدة إقامته وما يتعلق بذلك فهو علم التاريخ فقد يقع في الدول من أول المملكة الإنسانية . وقد يختص بخبر دون غيره وقد يختص بالدولة الإسلامية وقد يكون في أعمار الأعيان ووفياتهم . وقد يكون في اختطاط البلدان والمساجد والرباطات ونحو ذلك وكلها يحتاج إليه في شيء من أمور الشرع من ذلك كتاريخ سكة معلومة ومكيال معلوم أو مسجد عتيق أو التقى فلان من الرواة بفلان . أو مكان التقائه أو كون فلان من المتقدمين والمتأخرين . أو من الصحابة أو لا . أو غير ذلك من فوائد علم التاريخ .

وأعظمها الاعتبار والنهوض إلى طلب مقاماتهم وإدراك أحوالهم والاحتراز لوصف محمود بسماع أخبار من اتصف به من صلاح أو عبادة أو زهادة أو شجاعة أو حلم أو سخاء ونحوه . ولا سيما كرامة الأولياء وأحوالهم فهو سبب لنزول الرحمة يجند من جنود القلوب فهو محمود وجدير بأن يطالع .

وإن كان موضوعه غير هذا النوع من الأخبار فقد يكون راجعا إلى حكايات أمور تنقل على أنها وقعت أو ستقع سواء كان ذلك صحيحا في نفس الأمر أو كاذبا فهو علم القصص على الإطلاق كالإسرائيليات .

ففي الخبر : حدث عن البحر ولا حرج . وحدث عن بني إسرائيل ولا حرج [١٥٩] . وكأخبار الزمان المتضمن أخبار الجنة والنار وغير ذلك . وقد يدخل شيء من الأحاديث في هذا النوع . وقد يرجع إلى حكايات تقدر واقعة وهي لم تقع وهذا من آخر تارة يقدر فيه على الجمادات والعجماوات إخبارا بلسان حالها بما يعد أمثالا وحكما وهذا نوع استعمله العرب قديما وإليه ينسب كتاب كليلة ودمنة .

وفائدته ظاهرة يعبر عامة للناس وتارة على الناس إما لمجرد إبانة الاقتدار على الكلام نظما ونثرا مع ما يتضمنه الكلام من الفوائد والأغراض كما في المقامات الهمذانية والحريرية وأضرابها . وإما لمجرد تحلية الأسماع بالأمور الغرائب قصدا للتسميع والإطراف في المحاضرات والمسامرات وهو علم البطالين أهل الخلاعات والهزليات من المحادثات من سخفاء العقول والمجان وبعض سخفاء الملوك .

---

(١٥٩) انظر الفتح الكبير للنبهاني ، ١١/ ٧٠ ، نقلا عن أبي داود عن أبي هريرة

وقد يتفق من هذا النوع بعض ما وقع بعضه أو يقع ويزاد عليه كالعنتريات والعلايات . ومن هذا النوع بعض المغازي والفتوح .

ويدخل في هذا الفن ما يقدر على ألسنة الجمادات كالتفاخر بين السيف والقلم ونحو ذلك .

وينخرط في هذا السلك فن الخرافات كلها فإن المقصد والثمرات واحدة والفرق بين هذا الفن والذي قبله أن الاول هزل في قالب جد وهذا هزل صريح .

وأصل الخرافات أن رجلا من بني عذرة اسمه خرافة استهوته الجن فبقي عندهم زمنا ثم رجع فجعل يحدث الناس بأشياء زعم أنه رآها من الجن غريبة خارجة عن المعتاد . فاستغرب الناس ذلك منه وأنكروه فجعلوا كلما سمعوا حديثا غريبا قالوا حديث خرافة ـ أي من ذلك الجنس ـ فصار مثلا . ثم توسع فيه العامة حتى أطلق اسما للحديث نفسه .

وقد بقي من العلوم المعتبرة علمان : أحدهما علم الأمثال جمع مثل والمراد به المثل السائر وهو ما شبه مضربه بمورده . كقوله لمن ضيع حاجة في إبانها ثم جعل يطلبها : الصيف ضيعتِ اللبن . بكسر تاء الضمير .

وإن كان المخاطب ذكرا لأن المعنى حالك شبيهة بحالة المرأة التي قيل لها الصيف ضيعت اللبن . وهي امرأة مشهورة كانت فركت زوجها ـ أي أبغضته ـ وسألته الطلاق فطلقها زمن الصيف . فتزوجت فتى مقلا وكان الأول ذا مال فمرت بها يوما إبله فارسلت المرأة تطلب لبنا فشاوروه فقال قولوا لها الصيف ضيعت اللبن ـ أي سؤالك الطلاق فيه ـ وكان زوجها حاضرا فضربت بيدها على كتفه وقالت : هذا ومذقة خير . فذهبت أيضا مثلا .

ثانيهما : علم الحكمة وقد اختلفوا في تفسيرها فقيل الشرع . وقيل النبوة وقيل القرآن وقيل العلم وقيل الحلم وقيل العدل وقيل الإصابة في الرأى وقيل إتقان العلم . والعمل والظاهر أنها الإصابة وهي في الإنسان تقوم بقلبه تظهر آثارها على جوارحه . ففي اليد مثلا الصنائع العجيبة . وفي اللسان المعاني الغريبة .

ولذلك يقال نزلت الحكمة على ثلاثة أعضاء في الجسد على قلوب اليونان وعلى ألسنة العرب وعلى أيدي أهل الصين . فإن اليونان قد أعطوا الانظار في العقليات واستخراج البراهين المنطقية . والعرب قد أعطوا الحكمة في أشعارها وخطبها . وأهل الصين قد

أعطوا الصنائع البديعة في البنيان والنقوش .

فإذا علم هذا فالمراد من الحكم التي تذكر في هذا الكتاب ونحوه إنما هي القولية وليس المراد كل كلام أفادك معنى صحيحا بل هو ما فيه مزيد دقة وغرابة عما لا يفطن إليه إلا الخصوص مع اشتماله على ما ينفع عاجلا وآجلا ولو بالتنبيه ومزيد علم وفطنة .

ومثالها قول علي كرم الله وجهه : ما لابن آدم والفخر وإنما أوله نطفة قذرة وآخره جيفة قذرة وهو فيما بينهما يحمل العذرة .

وهذان العلمان من أجل العلوم وأنفعها للخاصة والعامة صقلا للألباب وزينة في الخطاب ففيهما مصلحة القلوب والألسنة وأحوج الناس إليهما أهل المحاضرات والمكاتبات والمراسلات والشعراء والخطباء وليس للأمثال والحكم واضع معين . وإنما ينطق الله تعالى بها من يشاء من عباده . فمنها ما عبر به عن لسان حال الجمادات والعجماوات كما مر .

ومنها ما تكلم به الناس في الوقائع والوصايا . وصدر كثير من ذلك عن حكماء العرب وحكامهم ورؤسائهم . كأكثم بن صيفي وقس بن ساعدة وسيف بن ذي يزن وغيرهم . واشتهر لقمان بذلك وذكره الله تعالى في كتابه . وناهيك بذلك مزية ونبينا ﷺ قد أوتي من ذلك ما لم يؤته أحد غيره . فمن الأمثال التي ابتكرها قوله : « حمي الوطيس » . و « لا ينتطح فيها عنزان » . إلى غير ذلك .

وأما الحكمة فبحر لا يدرك غوره ولا ينزف غمره كيف وهو ﷺ ينبوع الحكمة وسراج الهدى ومدينة العلم وإمام المتقين وقدوة العارفين ﷺ وعلى آله وأصحابه أجمعين .

وقد بقيت علوم أخر شذت عن التقسيم السابق تركنا ذكرها لقلة نفعها بل ورد الشرع بذم بعضها كعلم القيافة وهي معرفة النسب بتوسم الصورة وهي ليني مدلج وهذا العلم شعبة من الفراسة والحكمة .

وكعلم الزجر وحاصله الاستدلال بحيوانات طائرة أو ماشية أو جمادات من حيث حركاتها وأصواتها على الغيب وهو منهيٌّ عنه . ومثله الضرب بالحصى وعلم الأنواء .

وكعلم الرمل وهو الاستدلال بأشكال تخط في الرمل وغيره . وكعلم الشعوذة وكعلم النيروجات وسائر الحيل التي تغالط بها العقول . وكعلم الكف وغيره مما يطلع به على الغيب . وكالخط والقريعة التي يستعملها النساء ومن تشبه بهم . فهذه الأمور كلها وقع النهي عنها وعن تعلمها .

واعلم أن العلوم كثيرة لا تنحصر لاسيما ما يستند إلى العقول والإلهامات . وإنما أشرنا إلى أمهاتها المتداولة ونبهنا بذكر الموضوعات على تفاريعها ولم نبسط الكلام عليها لأن ذلك يستدعي طولا ولا يفي به إلا تأليف مستقل قاله الشيخ اليوسي في فهرسة له .

قلت وقد بسطنا الكلام عليها في أول شرحنا الكبير للفاتحة فذكرنا لكل علم حده وموضوعه وواضعه إلى تمام مبادئه العشرة فلينظره من أراد الوقوف على ذلك .

والذي حصلته من علوم الأذهان علم المنطق والكلام على مذهب أهل السنة والمهم من علم الهيئة .

ومن علم الأديان علوم القرآن وخصوصا التفسير فقد فتح علي فيه ما لم يفتح على أحد غيري في زماننا هذا . وقد فسرت كتاب الله عز وجل على طريق أهل الظاهر وأهل الباطن بما لم يسبق إليه [١٦٠] .

وحصلت الفقه بأنواعه وأصول الفقه وأصول الدين وهو علم التوحيد على طريق البرهان . ثم صحبت الرجال فترقيت إلى مقام الشهود والعيان .

وأما التصوف فهو علمي ومحط رحلي فلي فيه اليد الطولى والقدم الفالج حزت فيه قصب السبق على طريق أهل الأذواق فلله الحمد وله الشكر . وقد صنفت فيه كتبا وقد تقدم ذكرها . ونظمت فيه قصائد ستأتي إن شاء الله .

وحصلت أيضا علم الحديث وعلم السير وعلم المغازي والتاريخ والشمائل .

ومن علم اللسان علم اللغة والتصريف والنحو والبيان بأنواعه وقد تقدم ذكر المشائخ الذين أخذت عنهم .

وأما علم الشعر وهو علم العروض فلم أحرره لبرود القريحة فيه عند طلبه وكذلك علم الحساب الغباري لم أدركه كذلك كان ألقي في ذهني وقت قراءة العلم أنهما يجران إلى الدنيا فزهدت فيهما . وقد كنت وقفت على كلام عن بعضهم ذكر فيه فوائد العلوم فقال : الفقه طعام والتصوف إدام والنحو ملح والمنطق والكلام توابل واللغة بساط والأصول منهاج والبيان سراج والحساب إفادة والفرائض زيادة والتاريخ عبرة والتنجيم حسرة والتفسير عمدة والحديث حجة والعروض أشغال والقراءات كمال . وكنت نظمت

---

(١٦٠) وهو المسمى : « البحر المديد في تفسير القرآن المجيد » .

ذلك فقلت :

واعلم بأن العلم للأرواح ... بمنزل الغذاء للأشباح
فالفقه كالطعام للأبدان ... إدامه تصوف الجنان
وملحه بإصلاح اللسان ... بساطه اللغة بالإتقان
إبزاره المنطق والكلام ... مهاجنه الأصول ذا تمام
سراجه البيان والبلاغه ... والإرث والحساب للافاده
وعبرة التاريخ لا تتناها ... وعمدة التفسير خذ أقصاها
وحجة الحديث للإنذار ... ودع علوم النجم والأشعار
فغاية الأشعار شغل البال ... وحسرة التنجيم في المآل
وإن أردت الفوز بالكمال ... فجود السبع مدا الليالي

وقد يحتاج الفقير بعد النهاية إلى علم الشعر لأنه إذا غنى ربما لحن فلا يقبل منه عند أهل الظاهر فيقل النفع بكلامه والله أعلم فجملة ما حصلناه من العلم ستة عشر علما . ولما اطلعنا على علم الحقيقة سرطت [١٦١] ذلك كما قال شيخ شيوخنا سيدي عبد الرحمن الفاسي أي وقع الغنى عنها .

فمثال علم الظاهر مع علم الباطن كمن عنده بيت من الفلوس ثم أعطي بيتا من الذهب أو الإكسير فكيف يلتفت إلى الفلوس من أعطي مثلها من الذهب أو الإكسير فالاشتغال بعلم الظاهر بعد تحقيق الشهود بطالة إلا إذا كان تنزلا للغير بعد التمكين والله تعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

ذكر ما أجرى الله على لساننا
من الكلام والحكم نظما ونثرا

فمن ذلك قصيدة عينية في بعض آداب الصوفية وهي هذه :

سقاني حبي من مدامة حيه ... فأصبحت من خمر الهوى أتضلع
فلما سقاني زاد منه تعطشي ... فكان فؤادي بالجوى يتقطع
فلو أن الكون عرشه مع فرشه ... كؤوس لخمر الحب ما أننا قانع

---

(١٦١) سرط : بلع بشراهة .

ولو عشت في الكونين نسقى من الهوى ... على عدد الأنفاس ما أنا شابع
صحا الناس من سكر الحبيب وأفرقوا ... وإني على الصهباء في الحان جامع
ولي لوعة بالراح إذ فيه راحتي ... وروحي وريحاني وخيره واسع
سكرنا فهمنا في بهاء جماله ... فغبنا عن الإحساس والنور ساطع
تبدت لنا شمس النهار وأشرقت ... فلم يبق ضوء النجم والشمس طالع
تنحى رداء الصون عن كون ربنا ... فسرنا إلى نور الحبيب نسارع
فقال لنا أهلا وسهلا ومرحبا ... فهذا جمالي حقا فيه تمتعوا
تنزهوا معشر الأحبة عندنا ... فهذا الذي حنّت إليه المطامع
حذار حذار من فراق أحبتي ... بسوء أدب منك إنه قاطع
تأدب مع الأحباب في كل وجهة ... وشاهد جمالي إني للكل جامع
وفي حالة الإبعاد والقرب والصفا ... وفي الجفا شاهدني وقلبك خاضع
وفي حالة الرضى مع السخط إنني ... أنا مظهر الأشيا لنا الأمر جامع
وفي البسط آداب إذا لم تقم بها ... تزلّ بك الأقدام والقلب تابع
حياء وهيبة وتعظيم نعمة ... ومسك لسان القول إنه راتع
وإن جئتك ليل من القبض حالك ... فهيىء له صبرا فضوؤه تابع
سكون وتسليم لما قد جرى به ... قضاء محتم من الحق واقع
وللفقر آداب تحقق نسبة ... إلى من له علم التصوف ذائع
زهادته في الكون رفعا لهمة ... وإيثاره بذلا بقلب يسارع
تواضعه ذلا لمن له عزة ... وصحبته شيخا إليه المراجع
وتعميره للوقت من كل طاعة ... فتضييعه للوقت غبنه شائع
مع الشيخ آداب إذا لم تكن له ... فإنه في وادي القطيعة راتع
خضوع وهيبة وصدق محبة ... وعقد كمال فيه أنه جامع
فلا ترفعن صوتا إذا كان حاضرا ... ولا تضحكن فالضحك فيه فجائع
ولا تعترض أصلا عليه فإنه ... بنور شهود للبصيرة تابع
ولا ترمين عينا إلى ماء غيره ... فترمى كسيرا في المعاطش ضائع
ولا تخرجن من عش تربية غدت ... تمدك بالأنوار منها تتابع
إلى أن ترى الترشيد قد حان وقته ... وصرت من التمكين أمرك شائع
تمد من الأنوار في كل وجهة ... وتسقي من الأنام من هو تابع
تمسك بمنهاج الشريعة إنها ... أمان من كل هول للظهر قاطع

فشد لها يد المضنين فمنتهى ... كمال الكمال منك هو الشرائع
فخير ولي الله من كان سره ... شهود وظاهر من الشرع كارع
فهذا الذي حاز الوراثة كلها ... وأضحى غنيا للحبيب متابع
عليه صلاة الله ثم سلامه ... يؤمان بالتعظيم من هو شافع
وبالرضى عن كل الصحابة جملة ... وآل نبي الله ومن هو تابع

ومن ذلك قصيدة ثالثة في الخمرة الأزلية وهي هذه :

أحن إلى حان الحميا لنشوة ... تطيش لها الألباب في حال سكرتي
أهيم بها وجدا وأفنى بها عشقا ... فإن جاءنا صحو شربنا بسرعة
أقيم بها دهري قديما على سكري ... مصرا على شرب الحميا السنية
فلا صبر عن شرب المدام إذا صفا ... فإن مزجت فالشرب أبلغ منية
وكيف يترك الراح والراح راحتي ... ومنه قوامي في القديم ونشأتي
سكرنا بها قدما وبعد نشأتي ... وفي النشأة الأخرى تدوم مسرتي
ففي سكرة منها سرور وغبطة ... وخير حياة في نعيم وبهجة
فيا غبن من لم يشف منها غليله ... لقد كساه الحرمان ثوب مذلة
ويا فوز من أضحى لها متضلعا ... على عدد الأنفاس في كل وجهة
هنيئا له فالأمر عند مراده ... وعبدا يصير الدهر في كل خدمة
فإن تسألوني عن نعوت كمالها ... فإني خبير عن شهود وخبرة
تقدم كل الكون نور جمالها ... لطيف خبير في صفاء وقدرة
وقامت بها الأشياء حين تنوعت ... وعن كل ذي جهل خفيت لحكمة
فلا قبلها شيء ولا بعدها كون ... وليس لها مثل في حكم الحقيقة
أحاطت بكل كون عزاً وقدرة ... وعلما وسمعا في حياة وقوة
تقادم عصرها لقدم حديثها ... على كل كون بالرسوم تجلت
وهامت بها الأرواح حين تمازجت ... فلم يبق شكل في تحقق وحدة
لرقة خمر في الأواني تلطفت ... للطف معاني الخمر في أصل نشأتي
فطورا تغيب الخمر في جرم كاسها ... وطورا تغيب الكأس في خمر نشوتي
وغيب الأواني في المعاني تحقق ... فناء الأواني في المعاني القديمة
فأشباحنا كأس وأرواحنا خمر ... وباق لها جذب العناية حفت
فإن أسكرت خمر المعاني تغيبت ... أواني المعاني في تقدم نشأة

تنزهت عن حكم الحلول في وصفها ... فليس لها سوى في شكله حلت
تجلت عروسا في مرائي جمالها ... فأرخت ستور الكبرياء بعزة
فما ظهر في الكون غير بهائها ... وما احتجبت إلا لحجب سريرة
رسولا لها منها يجيء بشرعة ... ويتلو كتابا ذا علوم وحكمة
فتبدي له منها انقيادا وطاعة ... إذا كان من سهم النعيم في قسمة
وتبدي له كفرا وجحدا لشقوة ... أحاطت بها والملك أبلغ حجة
وما هي في حكم التصرف ظاهرا ... سوى شعوذ التمويه في جري حكمة
فها أنا قد أفشيت ما كان كشفه ... يريق دماء القوم في حكم شرعة
فجمعك باطنا يكون مواصلا ... وفرقك ظاهرا بتحقيق نسبة
وصل وسلم دائما متواليا ... على نور الأنوار في خير نشأة
محمد المبعوث غيبا ومشهدا ... فكل رسول ناب عنه في شرعة
وبالرضى عن كل الصحابة جملة ... وآل نبي الله أعظم نسبة

ومن تلك قصيدة تائية في تفسير الملك والملكوت والجبروت والرحموت والناسوت واللاهوت وهي هذه :

إذا حبست نفس في سجن الهوى الذي ... تقيد به العقل في قهر قبضة
وأشغلها حس الأواني لحكمة ... فلم تر إلا الكون في كل وجهة
فتلك عين الملك بالحس حاصل ... وناظره المحجوب في سحب ظلمة
وإن نفخت روح المقدس سره ... إلى درك سر الذات خلف الأنية
وتعني به سر المعاني التي سرت ... في كل الأواني عند أهل الحقيقة
فذا ملكوت الله يسمى لوسعه ... وعارفه يحظى بفتح بصيرة
وإن سبحت بحر اللطافة والصفا ... وأصل الأصول والفروع بفكرة
فذا جبروت يسمى بحركه [illegible] ... ولكن يخوض منه في طرق لجة
وإن نظرت أصل الإيجاد برحمة ... وجريها في الأشياء طرا بنعمة
فقل رحموت فيه يدريه عارف ... تخلق باسم الحق في كل نسبة
وحس الأواني يسمى ناسوت سره ... كما باطن المعنى بلاهوت قدرة
فمن خاض في هذي العوالم كلها ... وأضحى رئيسا في الجميع برتبة
فذاك الذي يضحى كبيرا مقدما ... مكينا يربي الخلق طرا بهمة
تسامى به [illegible] [illegible] وذوق وهمة ... علية قدر ذو بحار زكية

لداركه جذب العناية مسرعا ... فخاض بحار الجمع في عين شرعة
فما زال يحدو بالمريد قلوصه ... يجد حثيث السير في كل لحظة
يجوب به أرض المهامه والوغى ... إلى أن يزج الروح في خان حضرة
تغيب عن الأكوان في حال سكرها ... فلا ترى إلا الحق في كل وجهة
فيالها من نشوى لو هبّ نسيمها ... على قبور الأموات أحييت بسرعة
ولو عبقت أنفاس طيبها في الورى ... لأضحوا سكارى بالجميع في لحظة
ولو بيعت الأرواح في قرب خانها ... لكان لها بيعا رخيصا بصفقة
فهم وتنزه في كمال جمالها ... ولا ترض في غير الحبيب بنظرة
وجز بسيف العزم سوف وكل ما ... يحوم بحول الوهم قطعا بسرعة
تنبه لدرك العمر واعمر زمانه ... بذكر صفي القلب أو فكر نظرة
تدوم على ذاك المسير رغبة ... إلى أن يقيم القلب في عش حضرة
محل شهود للحبيب مناجيا ... تمازج حب الحب في حال خمرة
فكنت به تسمع وتبصر ناظرا ... وأنت لكل الكل جمع بقوة
تحقق بوصفك الذي أنت أهله ... وليس لك سوى التحقق بالنعت
وصل وسلم دائما متواليا ... على نور سر السر خير البرية
وآله ذي الطهر النزيه ومن تلا ... من الآل والأصحاب في كل حقبة

ومن ذلك قصيدة رائية في تفسير الروح وأطوارها وهي هذه :

فيا باحثا عن سر روحه فاستمع ... وكن تاليا للأمر في محكم الذكر
لطيفة نور في كثافة ظلمة ... ولكن بدر التمام في ليله يسري
فإن أشرقت شمس النهار تغيبت ... غياهب ليل عن سما قلبك الدري
الا إن شمس الحس تغرب ليلها ... وليس لشمس الحق من أفل يجري
هي النفس ثم العقل والقلب تاليا ... لها الروح ثم السر في صفاء التبر
فإن أخلدت أرض الهوى وتظلمت ... فنفسا تسمى ذاك في أول الأمر
وإن عقلت أيدي الهوى بأزمة ... فعقل به نيط التكلف بالأمر
وإن سكنت للخير لكن خواطر ... تقلبها قلب السفين على البحر
بذاك تسمى القلب مالك أمرها ... به صلاح الأعضاء في السر والجهر
وإن لحظت روح الوصال يؤمها ... وزال تعب الحس في سعة الذكر
فروحا تسمى في نشأة أصلها ... ولكن بقايا الحس تسرق للبر

فإن صقل المرآة عن غبش حسه / فذلك سر الله ضم إلى السر
وكل محل باستقامة أصله / تنقله الأنوار منه إلى الغير
ولابد من إصلاح ما كان ظاهرا / فإصلاحه منه لباطنه يسري
فتطهير نفس من مساو تكثرت / كغل وبخل واعتلاء ذوي الكبر
إلى غير ذا هي استقامتها التي / بها نقلت للعقل ذي النهى والزجر
وكفله عن حب الحظوظ تمنيا / وزجره عن درك الربوبي بالفكر
بذا يستقيم في أصالة نوره / فيرتقي قلبا بالعلو وبالنصر
وفي القلب إن حلت طمأنينة التي / تسكنه من خوف خلق ومن فقر
ومن كدر التدبير في أمر عيشه / وقد ضمن الرزاق ذا البر والبحر
هنالك أنوار الشهود تطلعت / على قمر التوحيد في فلك يسري
فيسمو بها روحا لراحة كده / فإن قدست عن كل حظ فبالسر
هنيئا مريئا بالمعارف هنيت / ومن شراب التسنيم تسقى بلا كدر

ومن ذلك قصيدة دالية في الحضرة النبوية حاذيت بها التصلية المشيشية وهي هذه :

وصلّ إله العرش في كل لمحة / على عنصر الوجود سر محمد
تقدم كل الكون نور بهائه / فكان إلى الرحمان أول عابد
قد انشقت الأسرار من سر سره / فأبدى لنا سر الإله الممجد
ومن نوره الأسنى قد انفلقت لنا / معاني صفات الذات من نور أحمد
وفي سما قلبه الضحى قد ارتقت / شموس حقائق الإله الموحد
وكل علوم قد تقادم عهدها / تنزلت في قلب الحبيب محمد
فأعجز كل الخلق بحر كماله / وكيف يحاط البحر بالغرف باليد
تلاشت فهوم الخلق في بحر سره / فلا سابق يدري حقيقة أحمد
ولا لاحق كل تضاءل فهمه / وكيف ينال الشمس من هو عن بعد
رياض بساتين المعارف بهجت / بزهر جمال من شريعة أحمد
كذاك بحار الجبروت تدفقت / بأنواره في كل غيب ومشهد
ولا شيء من كون تجلى بظاهر / ولا باطن إلا ونيط بأحمد
توسط فى الأشياء نور بهائه / فلولا وساطة النبي محمد
لكان على الأصل الموسوط من الجفا / ولم ير في الكونين نور محمد
عليه من الله العظيم صلاته / تليق بقدره الرفيع الممجد

توصلها أيدي الكرامة والجبا … ينال بها رفعا يجل عن الحد

تكون به أهلا كما هو أهله … فأعظم به قدرا من العز والمجد

فلا سر إلا من معادن سره … ولا علم إلا من بحار محمد

لقد جمع الأسرار سر كماله … وكل البها والحسن في ذات أحمد

فقد نبع الأسرار من بحر سره … ودل على السر العظيم الموحد

أتى بكتاب لا تحاط علومه … عجائبه تربو عن الحصر والعد

تحاكي معانيه بحارا زواخرا … وتزهو على الدر اليواقيت في العقد

لقد خصنا الإله معشر أمة … بأشرف عز من كرامة أحمد

رسولا كريما هينا متبجلا … حميدا عظيما في السيادة والمجد

حبيبا مشفعا وزيرا مقربا … يوصل حضرة الشهود إلى العبد

حجابا عظيما واقفا متأدبا … يرد عن الإلحاد والزيغ والبعد

فيارب بالهادي الشفيع محمد … لحوقا بنسب الحبيب محمد

بتحقيق حبه الذي هو عنصر … لكل كمال بالمفاخر مسند

وعرفني إياه بمعرفة غدت … تسلمني ورد الجهالة والبعد

ونكرع منها من موارد فضلكم … ونروى من التسنيم أعظم مورد

على نهجه احملني لحضرتك التي … إليها يأوي أولو البصائر والأيد

فحُفَّ بذاك الحمل نصرتك التي … تخص بها أهل العناية والود

على الباطل اقذف بي فتدمغ كل ما … يزاد على الفرد العلي من الضد

وفي أبحر من الحقائق زج بي … حقائق أهل الذوق والسر والوجد

ومن أوحال التوحيد فانشلني إنها … عقائد أهل الزيغ والجهل والبعد

وفي عين بحر الذات أغرقني إنه … محل شهود الحق في كل مشهد

إلى أن يصير الكل مني فانيا … في كل معاني الذات من شدة الوجد

فحينئذ نرى ونسمع واجدا … به يقع الإحساس في غيبة العبد

حياتي فاجعل في شهود وساطة … لنور حجابك العظيم الممجد

ونور إله سري حقيقة مشهدا … حقيقته العليا مواضع مقصد

بتحقيق حق أول متأصل … قديم بلا شكل هناك ولا حد

هو الأول والآخر مع ظاهر … وباطن كل شيء في وحدة الفرد

فيا أول اجعلني في أول سابق … إلى حضرة القدوس في خير مقعد

ويا آخر اختم لي بخير سعادة … تضم إلى روح الوصال المؤيد

ويا ظاهر حسن ظواهري التي بتهذيبها يسري المدد إلى العبد
ويا باطن زين بتحقيق نعمة الـ شهود بواطني بجمع مؤيد
ندائي ماسمع ياسميع لمن دعا سماع أبي يحيى الحصور الممجد
وبالنصر منك ياناصر تحققني وأيد أموري بالهداية والرشد
وفي حضرة التقديس تجمع بيننا وبين شهود للجمال المؤيد

وحل بيننا وبين غيرك إنه حجاب من الوهم المبعد للعبد
الله بالتكرار أذكر داعيا بحرف نداء للقريب الموحد
ثلاثا ترقي الروح في كل مرة إلى أن تخوض الجبروت في مشهد
فمن فرض القرآن أخبر أنه يردك ياروحي لجمع مؤيد
فيارب آت من لدنك برحمة تعم الأنام في مغيب ومشهد
وهيء لنا رشدا عظيما من امرنا يكون سبيل الوصل للعلي الفرد
وصل وسلم دائما متواصلا على نخبة الأكوان سر محمد
مع الرضى عن كل الصحابة جملة ومن هو بالنور المحمدي مقتد

انتهت . . .

ومن ذلك أزجال في الحضرة النبوية تذكر في حضرة الرقص وهي هذه :

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله
باسم الكريم نبدأ النظام نمدح رسول الله
من بحره تسقى الرجال فهو بباب مولاه
يامن حضر صلوا عليه أبا رجال الله
يوم الزحام يكون شفيع ذه حبيب الله

*****

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله
أمن بغى يوصل قريب يمدح رسول الله
هو الشفيع لمن يريد دخول حضرة الله
هو الطبيب لذي السقام ربي حب وأعطاه

*****

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله
به أسرى الرب الجليل إلى نوره وبهاه
جبريل معه على البراق اركب رسول الله
به خرق سبعا طباق إلى سدره وسناه

*****

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله
مازال يرقيه في المعالي حين حب وأدناه
فثم خص بالكلام فلم يشهد سواه
سر الحبيب مع الحبيب حبيب عظيم الجاه

*****

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله
الخلق به تفتخر من حسن نوره وبهاه
إذ حين من بالوصال لها حين مراه
فمن حبه ذو الجلال فكل شي يهواه

*****

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله
فمن حبه ذو الجلال أحبه سواه
هذا الحديث عندي صحيح حازوه رجال الله
من يقصدهم حاشا يخيب يضحى حبيب الله
إليَّ يصحب أهل الكمال ربي حب وأدناه

*****

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله
في كل حين تظهر رجال حديث رسول الله
إليَّ يطعن فيهم شقي ربي طمس وأعماه
بهم تزول عنا النقم بهم ننال رضاه
بهم ينال حب الحبيب بهم يعرف سناه

*****

أنا فنيت في ذا الحبيب سيدي رسول الله

أمن بغى يريح يجي ... تريه طريق الله
في حين قليل يصير قريب ... من نور حضرة الله
ربي ودنا بالعطا ... من فيض رجال الله
من يصحبنا حتما ينال ... حظنا من حب الله

* * * * *

أنا فنيت في ذا الحبيب ... سيدي رسول الله
هذا الكلام سر عجيب ... يعجب زهر رُباه
أحمد نطق بهذا الكلام ... يشكر نعم الله
من لا يتحدث بالنعم ... تزول عنه تنساه

* * * * *

أنا فنيت في ذا الحبيب ... سيدي رسول الله
شيخي محمد بن أحمد ... ربي منحه وأعطاه
يسقى من فيض ذي الجلال ... خمر القديم سقاه
شيخ سيدي يسقي الأنام ... من ينظره أغناه
مولاي العربي بن أحمد ... حفيد رسول الله

* * * * *

أنا فنيت في ذا الحبيب ... سيدي رسول الله
مولاي علي بحر عميق ... سيدي ابن عبد الله
من ماء الجيلاني قد شرب ... والشاذلي أرواه
بحران جمعت ذي الطريق ... يا سعد يابشراه

من يردها ظمآن ينال ... أعلى ما يتمناه

* * * * *

أنا فنيت في ذا الحبيب ... سيدي رسول الله
إمامنا في ذي الطريق ... سيدي رسول الله
سلسلتنا به تصل ... فيها رجال الله
الشاذلي بحر عظيم ... أشياخنا مجراه
اللوح المحفوظ خصهم ... فهم صفوة الله

القطب منهم لا يزول — الشاذلي منساه
بجذوبها قطعا يصير — سالكا عارفنا بالله

****

أنا فنيت في ذا الحبيب — سيدي رسول الله
طريقنا قالوا تدوم — بضمان رجال الله
سيدي المجذوب بذا نطق — كذا ابن عبد الله
شيخ التريبا لا يزول — قطعا إن شاء الله
وجوده قطعا يدوم — فضلا من عند الله
المرسي به قد أفصح — نسخ له معناه
وفي الحديث نص صريح — لمن يعقل مبناه
أمتي كالغيث الهطيل — أخيره أولياه
من ينكر هذا قد يضل — يخطي طريق مولاه
باب الرحمة قد غلق — عنه في عباد الله
هذا نصحي لكم سديد — ذوقا بحمد الله
يارب صل بالتمام — على رسول الله
والآل والصحب الجميع — وكل أحباب الله

انتهت

قصيدة أخرى مثلها في الخمرة الأزلية وهي هذه :

أنا فاني في ذي الجلال — سبحانه سبحان
من يعطي بلا سؤال — ويبدأ بالإحسان
من جوده عم الوجود — ووصفه المنان
من حسنه يسبي العقول — ويذهل الأذهان

****

أنا فاني في ذي الجلال — سبحانه سبحان
من بره عم الأنام — وملكه سلطان
من نوره أصل الأصول — وشمسه عيان
من سره فوق العقول — ووصله عرفان

من أمره حتما يكـون ودفعه خـذلان
أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
فمن شأنه عظيم كبير ومـلكه ذو شان
من حكمه نافذ يصول ويمضي في الأكوان
من خافه يرجو الحبا من بحره الفيضان
من يطلبه حقا ينال من فضله الإحسان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
يامن يريد نيل المنى ويحظى بالعرفان
يطلب له شيخا طبيب ذي الذوق والوجدان
يسلك به سير الطريق ويطهر الجنان
فيفنى في ذات الجليل ويهنأ بالإحسان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
فينطق عنه الوجود وتوسع الميدان
وتشرق عنده الشموس ويبصر العيان
وتسكن عنده القلوب وترتاح الأركان
ويغرق في بحر الشهود وتنمحي الأكوان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
يامن يريد سكرا مدام نبع له بثمان
الذل للخمار يدوم بين بين الأقران
وجنس مع فلس يزول فلم يزل سكران
الحب عنه لايزول ويحظى بالعيان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
خمرتنا خمرة القديم وساقيها المنان
يسقيها صافي زلال لمن يأتي ظمآن

إولّي يشرب نقطة يهيم وقلبه نشوان
يفنى في حبه للحبيب فياله من شان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
السكر من طبع الكرام وسكناهم الحان
الصحو عندهم قليل وسرهم هيمان
من يصحبهم حتما يغيب ويسقوه كيسان
يفنى ويبقى بالحبيب يدوم له ذا الشان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
حب الحبيب حتما يجب فرضٌ على العيان
يامن يلومني في الهوى عذري له برهان
الحب يهتك العراض ويزري بالإنسان
من لا يفنى في الحبيب فما له وجدان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
الذل للحبيب حلو والعز منه بان
من لايذل للحبيب فوصفه الحرمان
الفقر شيمة الوصال وسره الوجدان
من لا يستغني بالحبيب عن غيره ففقره قد بان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
من لا يذوق سر الوصال فعيشه خسران

يتعزى قبل أن يموت ويبعث ندمان
الجهل به قد أحاط وسجنه الأكوان
الروح منه لا يجول وقلبه حيران

*****

أنا فاني في ذي الجلال ... سبحانه سبحان
معنى الحبيب سر عجيب ... تطيش لها الأذهان
فمن يذقها بالصفا ... يكون عظيم الشان
الحس منه لا يرى ... ويدخل الميدان
الفكر في الفضا يجول ... وبحره فيضان

*****

أنا فاني في ذي الجلال ... سبحانه سبحان
بحر المعاني قد سبا ... عقلي به ولهان
الروح في بحر عظيم ... تغيب عن الأكوان
بحر المعاني قد سقا ... قلبي به ريان
القالي في بحر عظيم ... أمواجه معان

*****

أنا فاني في ذي الجلال ... سبحانه سبحان
بحر المعاني قد أحاط ... بنا من كل مكان
الكون فيه كالسراب ... يغيب عن العيان
من لا يعوم في ذي البحار ... يموت وهو عطشان
من يشرب من بحر الحبيب ... فقلبه ريان

*****

أنا فاني في ذي الجلال ... سبحانه سبحان
من لا يشاهد الحبيب ... فغبنه قد بان
من لا يؤنس بالحبيب ... فأنسه الشيطان
من لا يلهه ذكر الحبيب ... فقلبه غفلان
ذكر الحبيب باب قريب ... لحضرة العيان

*****

أنا فاني في ذي الجلال ... سبحانه سبحان
حب الرسول باب الدخول ... لحضرة الإحسان

من يقتفي الرسول يصير حبيب إلى الرحمان
نص الكتاب بذا صريح في سورة العمران

*****

أنا فاني ذي الجلال سبحانه سبحان
يارب صل بالتمام على عظيم الشان
محمد الهادي الكريم ما تنطوي الأزمان
والآل ذي الطهر العظيم وصحبه الأعيان

*****

أنا فاني في ذي الجلال سبحانه سبحان
هذي نظامي قد كمل يتيه على الجمان
فابن عجيبا قد عقد سليكها الحسان
من يسمعها صدقا يجن لخمرة العيان
ويفنى في حب الحبيب ويحظى بالعرفان

انتهت . . . .

ومن ذلك قصيدة أخرى تستعمل في حضرة الرقص أيضا ذيلت بها قول بعض المشارقة :

أمن لا ذاق ، سكر خمر المحبا ، ولا ربى ، بالذوق ولا تربا ، ولا نادى ، ساقي ولا قط لبا ، ولا شاهد ، ولو بدأت الشواهد الشواهد ، أوقف دائم مملوك ، في بيان الملوك ، اطلب تنف الشكوك ، ترقق الوداد ، لمن عرف مولاه ، المدد المدد ، أيارسول الله ، اعرف تعرف ، بمعرفة الموالي ، وتواضع ، ولو تكون في المعالي ، عسى تبلغ ، ما بلغت الرجال ، ويتحقق بحقيقك كل جاحد كل جاحد ، أسلك هاذي الطريق ، يسطع نورك شريق ، وبالله التوفيق ، ترقق الوداد ، لمن عرف مولاه ، المدد المدد ، أيارسول الله ، أمحمد ، سارت بك النياق ، أمحمد ، ركبت ظهر البراق ، أمحمد ، أخرقت سبعا طباق ، شاهدت الرب بالعيون ثم العيون ، أنطق لك الحجر وأسجد لك الشجر ، وانشق لك القمر ، أيارسول الله ، المدد المدد ، أيارسول الله . هـ .

فقلت في تذييلها :

أمن لا حال ، في سر المعاني ، ولا رقي روحه لخالق الأواني ، ولا فنا ، بالحال ولا صار هاني ، ولا شاهد سر الحقايق الحقايق ، إخضع دائم ذليل ، تكن عزيز جليل ، في أمد قليل ، تفتح لك الأبواب .

*****

فيمن شهد مولاه ، المدد المدد ، أيارسول الله ، أمن يريد ، سكر بخمر المعاني ، يكن مريد ، بالصدق والقلب داني ، والحب يزيد ، في الشيخ طول الزمان ، يتحقق بحقائق كل موجود ، تصفو لك الغزول ، يحصل لك الوصول .

*****

تبلغ كل مأمول ، والملك تستولاه ، المدد المدد ، أيارسول الله ، أحمد طارت لك القلوب ، أحمد أظهرت علم الغيوب ، أحمد ذكرك يفرج الكروب أظهرت النور للعيان ثم العيان للعيان ، أسرى بك الرحمان ، وافتح لك الجنان .

*****

وأظهر بك الإيمان ، أيارسول الله ، المدد المدد ، أيارسول الله ، أحمد عزت بك المراتب ، أحمد دانت لك المذاهب ، أحمد خُصّت بك المناقب ، قربت العباد للشهود ثم الشهود للشهود ، أشرق شمس العرفان ، وأظهر بك الاحسان .

*****

وأظهر بك الجنان ، أيارسول الله ، المدد المدد ، أيارسول الله ، أحمد نارت بك العوالم ، أحمد بانت بك المعالم ، أحمد حارت فيك المفاهم ، اسبقت الوجود للوجود ثم الوجود للوجود ، انشقت بك الأسرار ، وانفلقت بك الأنوار .

*****

وأسجد لك الأقمار ، أيا رسول الله ، المدد المدد ، أيارسول الله ، أحمد حقت بك الحقائق ، أحمد لاذت بك الخلائق ، أحمد أظهرت علم الطرائق ، أظهرت الدين للعباد ثم العباد ، أرفع بك الشكوك ، وأخضع لك الملوك .

*****

وأظهر بك السلوك ، لمن يريد مولاه ، المدد المدد ، أيا رسول الله ، أحمد نارت بك السرائر ، أحمد زانت بك الضمائر ، أحمد فتحت بك البصائر ، عرفت الحق للعباد ثم العباد للعباد ، أظهر بك الوجود وأرفع بك الجحود ، وبان بك الشهود ، لمن عرف

مولاه ، المدد المدد ، أيارسول الله .

انتهـــت .

ومن ذلك قصيدة أخرى ذيلت بها قول الششتري :

بدأت بذكر الحبيب ، وهمت وعيشي يطيب ، وبحت بسر عجيب ، لما دار الكاس ، ما بين الجلاس ، وأحياتهم الأنفاس .

*****

عنهم زال الباس ، سقاهم بكاس الرضا ، عفا الله عما مضى .

اشرب يانديمي وطيب ، وعش في أمان الحبيب ، قد فزت بسر عجيب .

قم خل الكاسات ، واشرب بالطاسات ، واغتنم لذات ، في مقام السادات .

بريق الحميا قد أضاء ، عفا الله عما مضى .

*****

ياساقي ترفق بنا ، المولى غفر ذنبنا ، وأسقانامدام ، وانعم بالسلام ، وأعطانا مدام ، عن سادات كرام ، وأوسع لنا الفضا ، عفا الله عما مضى .

*****

فقلت في تذييلهـــا :

أقل في جوار الحبيب ، وته في أمان القريب ، قد فزت بأمر عجيب ، يفوح بمسك وطيب ، ثم خل الأكوان ، يكن لك الشان ، وجل بالعيان ، في مقام الإحسان ، تحقق مقام الرضى .

*****

عفا الله عما مضى ، تنزه في روض الجمال ، وغص لي في بحر الكمال ، تفوز بحسن الوصال ، بعلم وسر وحال ، اشرب يانديم ، من خمر قديم ، وقلبك يهيم ، بسكر مقيم .

*****

فنور الفنا قد أضاء ، عفا الله عما مضى ، اسكن في مقام الفنا ، وعش في أمان الهنا ، قد فزت بسر الغنى ، وحزت من كل المنى ، ارقص بانشوان ، من خمر العيان ، وعش في الضمان .

*****

وظل الأمان ، فنور البقا قد أضا ، عفا الله عما مضى ، ياحبي لا تنس الوداد ، قد فزت بحسن الرشاد ، وصرت من خير العباد ، بصدق الوفا والسداد ، اطرب ياسعيد ، من خير عتيد ، وعش رغيد ، في عمر مديد ، ففجر الهنا قد أضا .

*****

عفا الله عما مضى ، تذلل لعز الحبيب ، تفوز بوصل قريب ، وتكسى بعز عجيب ، يدوم في نسل حسيب ، اخضع ياانديم ، لرب عظيم ، تشهد القديم ، بقلب سليم .

****

فنور البها قد أضا ، عفا الله عما مضى ، سكرت بخمر قديم ، وصرت لحبي نديم ، فقرت بسر عظيم ، يليق برب كريم ، افرح ياانديم ، برب عظيم ، واشهد القديم .

*****

بوصف كريم ، فسبق الحبا قد قضى ، عفا الله عما مضى ، تعلق برؤيا الحبيب ، وشاهد جمال القريب ، تمد بفيض عجيب ، من بحر معاني الحبيب ، تفنى ياخليل ، في ذات الجليل ، في حين قليل ، تحظى بالجميل ، فنور الوصال قد أضا .

*****

عفا الله عما مضى ، ياقلبي تحلى وجُل ، قد فزت بسر الوصول ، وصرت بحبك تصول ، الكون من فكرك يحول ، اسقنا زلال ، من أيدي الرجال ، وانعم بالوصال ، بالذوق والحال .

*****

فسكر الفناء انقضى ، عفا الله عما مضى ، تمسك بحب الرسول ، فإنه باب الوصول ، ونوره أصل الأصول ، وسره بحر يجول ، تحظى بالوصال ، لعين الكمال ، وتسقى زلال ، من فيض الجمال ، ففجر الكمال قد أضاء ، عفا الله عما مضى .

انتهـــت ...

ومن ذلك قصيدة في سلب الإرادة مع الحق وترك التدبير على ألسنة هواتف الحق هذه :

ياعبدي كن مستصغيا لقولي	والق سمعك بلا بعاد
مرادي منك نسيان المراد	بصدق الحب منك والوداد

مرادي منك رفض ما سوانا ... بقصد سيرك إلى الرشاد
مرادي منك الترك للحظوظ ... وما يفضي بك إلى البعاد
مرادي منك نسيان الملحوظ ... لغير حينا بلا مراد
مرادي منك الرفض للتدبير ... والاختيار محوا للمراد
فكل ما تبني من الأماني ... تهدمه الأقدار باستبداد
أتبني ما ليس له تمام ... وتشغل العمر بوهم باد
أتترك الراحة في التسليم ... وتتعب الجنان بالعناد
فأنت محمول بكل حال ... فلا تكن حاملا باستبعاد
رعايتي حفتك في القديم ... وها أنا نحن على الوداد
تدبيري سابق لكل كون ... فلا تنازعني في مراد
أنا الذي خصصت بالتصوير ... والخلق والتدبير للعباد
فهل عودتك إلا جمالا ... وحسن حفظ مني للوداد
مرادي رفع قدر الدنيّ ... إن سلمت الأمر إلى مرادي
فلا تضع قدرك بعد الرفع ... بخوض وهمك في كل واد
سلب الإرادة معي جميل ... وغاية الكمال والرشاد
أرح فؤادك من التدبير ... فالعجز عن نفسك أمر باد
أنا القيوم بالأمور طرا ... فليس شيء يخرج عن مرادي
أنا الجبار أجبر كل كسر ... أنا القهار من فوق العباد
أنا الحكيم في أمري وصنعي ... أنا الحليم أعطف بالوداد
فكل ما يظهر من أحكامي ... في غاية الحسن وفي السداد
فلا تنازعني عبدي فإني ... أعلم بالأمور منك وحدي
عواقب الأمور لا تدريها ... ولا تدري الخير من الفساد
فعسى أن تكره خيرا يأتي ... وعسى أن تحب ما يعادي
فسلم الأمر لحكمي وارضَ ... بكل ما يبدو من المراد
تفوز بالروح وبالريحان ... وجنة العرفان بالتناد
ياعبدي لو فهمت كل الفهم ... عني لما دبرت في مراد
ياعبدي لو قنعت بالتدبير ... مني لكنت من خير العباد
تأتي لك الأماني طوع الأيدي ... وتسلك المنهاج ذا رشاد
ياعبدي لو أذنت في التدبير ... لكنت تستحي من العناد

لكنني قد تيت أهل الفهم — عن كدر التدبير والإبعاد

ياعبدي قد سلمت لي قضائي — وحكمي في كوني بلا عناد

فأنت من كوني ومن عبادي — فلم نفسك بلا مراد

ياعبدي إن تثق بنا كفيلا — أكفيك كل ضيم أو فساد

ياعبدي إن تتخذني وكيلا — أعطيك كل المنى بالوداد

ياعبدي قم بخدمتي فإنني — أقوم بالقسمة والرفاد

أنا الذي أرزق من عصاني — فكيف أهل الحب والوداد

متى كان الإيجاد للعباد — فكيف لا أقوم بالإمداد

هل غارس الأشجار للإثمار — يهمل غرسه بلا إمداد

أنا الذي هيأت للعباد — خيري ومنني بلا نفاد

أنا الذي ضمنت للعباد — رزقي وأقسمت بأمر باد

فإن تعل هما بأمر رزقي — كنت بعين الطرد والإبعاد

من دبر النطفة في الأحشاء — وأجرى رزقه بلا نفاد

وأسبغ الإحسان في القديم — فكيف يهملك من إرفاد

ياعبدي لا تطالبني برزقي — فرزقي واصل بلا تناد

فإني لا أنساك من إحساني — ولو نسيت عهدي بابتعاد

فبي ثق في ضماني — فإني ذو بر وذو وداد

فما قدرتني حق قدري — إن لم تثق بضماني ووعدي

ياعبدي لو فنيت عن سوانا — لكنت بالشهود ذا استعداد

ياعبدي لو فنيت عن وجودك — لكنت بالوصال ذا اعتداد

فأنت نقطة لغين الغين — فالعين صر إن كنت ذا رشاد

محوُ السوى فرض على الكمال — وغاية الكمال للعباد

وصلِّ على النبي في كل حين — صلاة ذوي المحبة والوداد

وقلت تحريرا لقول الحكم تحقق بوصفك يمدك بوصفه :

تحقق بوصف الفقر في كل لحظة — فما أسرع الغنى إذا صحح الفقر

وإن تردن بسط المواهب عاجلا — ففي الفاقة ريح المواهب ينشر

وإن تردن عزا منيعا مؤبدا — ففي الذل يخفى العز بل ثم يظهر

وإن تردن رفعا لقدرك عاليا — ففي وضعك النفس الدنية يحضر

وإن أردت العرفان فافْنَ عن الورى — وعن كل مطلوب سوى الحق تظفر

ترى الحق في الأشياء حين تلطفت ففي كل موجود حبيبي ظاهر

انتهى ...

وقلت في علامات الغنى بالله تحريرا لما ذكره شيخ شيوخنا سيدي علي الجمل[١٦٢] رضي الله عنه حيث قال :

« علامة الفقير المستغني بالله أربعة : ترك الدنيا للخلق إلا ما فضل عنهم بعد الاضطرار . وترك الآخرة حتى لا يكون له فيها حق إلا النظر لوجهه الكريم . وترك نفسه لله تعالى حتى لا يكون له فيها حق إلا حق مولاه ولا إرادة إلا ما أراد مولاه . ويكون كالغصن الرطب أين ما مالت الريح يلين ويميل معها . ولا ينكر على الخلق حالا من أحوالهم . هـ .

فقلت في نظمها :

يامدعي الغنى برب الخلق	خذ ميزانا تعرف عين الحق
الرفض للدنيا بكل حال	إلا الذى يشهل من حلال
من بعد الحاجات والاضطرار	فإن أتت قبل فلو إيثار
والزهد في الأخرى لحظ النفس	إلا النظر في وجه عين القدس
والترك للنفس بلا تدبير	ولا اعتراض منه للقدير
بل حاله كغصن رطب البان	يميل بالريح فوقا أو حاني
وتعظيم الأشياء بالإقرار	إذ كلهم من نور سر الباري
فهذه علامة الغناء	مع اعتدال الأمر في الأشياء

انتهى ....

وقلت تحريرا لقول الشاذلي رضي الله عنه : إذا أكرم الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له العبودية لله وستر عنه حظوظ نفسه فجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة مع جري ما قدر له ولا يلتفت إليها كأنه بمعزل عنها وإذا أهان الله عبدا في حركاته وسكناته نصب له حظوظ نفسه وستر عنه عبوديته فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله بمعزل وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر .

---

(١٦٢) شيخ الإمام الدرقاوى ، توفي في فاس سنة ١١٩٤ هـ .

قال وهذا باب من الولاية والإهانة . وأما الصديقية العظمى والولاية الكبرى فالحظوظ والحقوق كلها سواء عند ذوي البصيرة لأنه بالله فيها يأخذ ويترك . هـ .

فقلت في نظم هذه القاعدة :

إذا صحبت عبدا عناية ربه تخلص من رق الحظوظ مدى الدهر
فتنهضه الأقدار في طاعة المولى وكل الحظوظ قد تبذت ورا الظهر
ويأتيه بالتوفير ما هو حظه مع الهمة العليا على العبد والحر
وإن لم تكن للعبد سبق عناية تملكه أيدي الحظوظ على القهر
فتزعجه الأقدار في حظ نفسه ولو كان طاعة على حسب الجهر
وليس ينال منها فوق التي له ولو كان أحرص الأنام على الوفر
ولا يمكن الخلوص من رق نفسه إلا باصطحاب الشيخ ذي الحال والسر
يملكه زمام أمره كله فتنخنس النفس الدنية بالحصر
فتستوي عنده الحظوظ بلا عين مع الحقوق العليا بغيب عن الغير
لأنه في الأفعال بالله غائبا عن النفس والهوى فيا له من سر

وذيلت قول الحلاج رضي الله عنه :

قلوب العارفين لها عيون ترى مالا يرى للناظرينا
وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمينا
وألسنة بأسرار تناجي تغيب عن الكرام الكاتبينا

قلت :

وأفئدة تهيم بعشق وجدا إلى جبروت ذي حق يقينا
فإن أرمت درك تي المعاني فبذل روحك قليل فينا

وذيلت قول بعض الشعراء :

فلا دهش وساقي الحي حي ولا عطش وساقي القوم باقي
فما المنايا بباقية لحي وما حي علي الدنيا بباقي

قلت :

فلا ترضى بغير الله حبا وكن أبدا ذا عشق واشتياق
ترى الأمر المغيب ذا عيان وتحظى بالوصال وبالتلاق

وقلت أيضا في أركان الولاية وموادها :

يامن يرد مراتب الرجال فليرب المعنى بكل حال
بصحبة الفحول أهل الفن أو فكرة تذيب كل كون
أو استعمال الذكر بالجنان فهذه زوائد المعاني
وليهجر الحس بكل حال بالفكر والفعل والمقال
فإن أتى بهذه الخصال حاز من العرفان أمرا عال

وقلت أيضا في شأن المراقبة :

تحقق بعلم الله في كل وجهة ففي كل لحظة عليك رقيب
وإياك أن تنسى الشهود لشاهد عظيم بسر السر منك قريب
لطيف خبير قادر متودد رءوف رحيم للمطيع حبيب

وجمعت كلاما يقال في أثناء الهيللة وهو هذا :

خمرتنا صافي زلال تحيي من يسقاها
ألي شرب منها وزاد عمره ما ينساها
خمرتنا خمر الرجال تغني من يحساها
ألي شرب منها سكر ويغني بغناها
هاذي النفس إذا طغت ما تبلغ مناها
لكن بالشيخ الطبيب توصل لمولاها
هذي الروح إذا صفت في الحضرا سكناها
الفنا به الوصول والأنوار تغشاها
هذي الروح إذا فنت وانتهى مسراها
البقا به الكمال والأمان أعطاها
من لا دخل يد الرجال ليس له من وصال
الشيطان به وصل نفس ما يرعاها
قالوا سادتنا الرجال أهل الفضل والكمال
من لا شيخ عنده ضال نفس مع هواها
من لا عنده شيخ تاه والشيطان شيخ له
والهوى غلاب عليه نفس ما ينساها

يا مغـــرور لا تنخـــدع الـــدنيا غـــرارا
ارحل للمولى الكـــريم لآخرة لا تنســـاهـــا
الجنـــة دار النـــعيـــم والفـــردوس أعـــلاهـــا
ساكنها النبي الكـــريم لأهـل القـرب أعطـــاهـــا
من لا صحب أهـل الوصول ما يطمـــع ســـكناهـــا
بالصحـــة للفحـــول يرتـــقي لأعـــلاهـــا

انتهـــى .....

وقلت في بعض الحكـــم :

لولا الـــوقـوف مع ظلمـة الأكـوان ، لأشرقت على القلب شمـوس العيان ، لولا العـلائق ، والعوائق ، لأشرقت شموس الحقائق ، لولا التدبير والاختيار ، لزال عن القلب ظلمة الأغيار ، لولا الشهوات والحظوظ ، تصرفت الهمم بأسرع من اللحوظ ، لولا المساوي والعيوب ، لظهرت أسرار الغيوب ، لولا مجاهدة النفوس ، ما ظهر سر الخصوص ، لولا صحبة الرجال ، ما عرف النقص من الكمال ، لولا صحبة الأكابر ، ما طهرت القلوب والسرائر ، لولا خدمة الرجال ، ما أدركت مراتب الكمال .
انتهـــى ....

وكتبت لبعض المشـــارقة :

بعـد الحمد والصلاة على رسول الله ﷺ إلى من يقف عليه من الأحباب الطالبين الوصول إلى حضرة رب الأرباب السلام عليكم والبركة والعافية

أما بعد فاعلموا رحمكم الله أن طريق الوصول إلى الله تعالى طريق الجد والتشمير لا طريق البطالة والتقصير طريقة موت النفوس وحط الرؤوس وبذل الفلوس طريقة قريحة واعتنا واستهلاك وفنا لا تجد صاحبها إلا ذاكرا أو متفكرا أو تاليا أو مصليا أو مذكرا أو مستمعـا . أوقـاته معمورة محفوظة وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة . إن تكلم فبذكر الله وإن صمت فعن الغيبة في الله يجول في عظمة الله أو فيما يقربه إلى الله وإن تحرك فبالله وإلى الله وإن سكن فمع الله مستأنسا بالله مشتغلا بربه غائبا عن نفسه ليس له عن نفسه إخبار ولا مع غير الله قرار أنسه بالله ومجالسته مع الله . التقوى زاده والقناعة رقاده ومن بحر العرفان استمداده . قد استغنى بالله عما سواه ورفض وراء ظهره دنياه

وهواه . قد اتخذ الله صاحبا وترك الناس جانبا . فإن كان هكذا فالولاية طوع يده وإلا فإدراكه على قدر جده وكده . ومن رام الوصول بغير هذا فهو مغرور ، ولا بد للفقير في بدايته من عزلة ينفرد فيها عن الخلق ليتأنس قلبه بالملك الحق فإذا تمكن من الإنس بالله وأشرقت عليه شموس المعارف واتسعت معرفته فلا بأس أن يخالط الناس بجسمه ويفارقهم بقلبه جسمه مع الخلق وقلبه مع الحق جسمه مع الخلق يسعى وروحه في أنوار الملكوت ترعى وهذه عزلة العارفين تكون بقلوبهم لا بأجسامهم . ولابد من صحبة شيخ عارف قد أهله الله للتربية النبوية يصحبه ويخدمه حتى يمكنه من الحضرة القدسية وهو موجود في كل زمان ومن قال خلاف هذا فغايته الخيبة والخذلان ولابد للمريد أن يجعل وقتا يجتمع فيه مع الإخوان وينحك معهم للذكر والمذاكرة فإن لم يجدهم في بلده فليرحل إليهم أو يكثر التردد إليهم حتى يعرف شور الطريق وينهل مناهل التحقيق فحينئذ يستغني بالله عن كل ما سواه والسلام .

وكتبت رسالة أخرى لفقراء بني حسان ونصها :

بعد الحمد والصلاة على رسول الله ﷺ إلى كافة فقراء بني حسان السلام عليكم والرحمة والبركة والعافية .

أما بعد : قوى الله مددكم وكثر عددكم فإن السير إلى الله تعالى على قدر التفرغ من الشواغل والعلائق فبقدر ما يتفرغ القلب من العلائق تشرق عليه أنوار الحقائق فرغ قلبك من الأغيار تملاه بالمعارف والأسرار وورود الإمداد على حسب الاستعداد والاستعداد للواردات الإلهية هو تفرغ القلب عما سوى الله فإن تفرغتم من هموم الدنيا أشرقت عليكم الآخرة وإن تفرغتم من هموم الآخرة أشرقت عليكم أنوار الذات العلية وكفاكم الله أمر الدارين . أنت مع الأكوان ما لم تشهد المكون فإن شهدت المكون كانت الأكوان معك فاشتغلوا بربكم يكفكم مآربكم فمن وصل إلى مقام الفكرة فلا يفتر عنها حتى يتمكن من دخول الحضرة ومن دخلها كان آمنا ومن لم يصل إلى الفكرة فذكر اللسان لايفتر عنه ساعة مع الحضور والعزلة إلا في وقت الاجتماع على ذكر الله وتهلوا[١٦٣] في حسن الخلق مع كل مخلوق فإنه يعدل الصيام والقيام وخصوصا مع أهل الدار والجيران فإن لهم حقوقا علينا أكثر من غيرهم وذكّروا كل من لقيكم من الرجال والنساء ودلوا

---

(١٦٣) تهلّوا : احرصوا .

الناس على ما يقربهم من مولاهم ولا تصغروا أنفسكم فإنكم إن شاء الله أهل التذكير وأمُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر وخصوصا هذا الماء الفاسد الذي عمت به البلوى في هذه الجبال فلا حول ولا قوة إلا بالله فاعملوا جهدكم في الإنكار على من يفعله ويكون ذلك أولا برفق ولين فإن لم ينته فالتخشين والتخويف بالمخزن . وكذلك هذه البدع التي تفعل في الأعراس كاختلاط النساء بالرجال إن بقي عندكم منها شيء فاقطعوه والله ينصركم ويؤيدكم بنصره . قال تعالى : « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »[١٦٤] . والسلام .

وكتبت لهم رسالة أخرى ونصها :

بعد الحمد والصلاة ...

إلى كافة الأحباب من فقراء بني حسان حسن الله أحوالكم وأدام إحسانه إليكم السلام عليكم والرحمة والبركة والعافية .

أما بعد فنحبكم بارك الله فيكم أن تشدوا يدكم على الشريعة المحمدية فإنها مفتاح لباب الطريقة والحقيقة فكل من ترك منها شيئا طرد وأبعد ولو كان واصلا فالأبواب كلها مسدودة إلا من أتى من باب الشريعة وهو ما أمر الله به ورسوله ﷺ . فقال تعالى : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا »[١٦٥] .

وقال تعالى : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم »[١٦٦] .

والذي أتى به الرسول عليه السلام هو فعل الفرائض وهي معلومة وترك المحرمات وهي مشهورة كأكل الحشيشة وشرب الخمر وتنفيخ طابة[١٦٧] وغير ذلك من المحرمات فإن هذه كلها من الخبائث التي نهى الله عنها ورسوله وكذلك أموال الناس كلها حرام إلا ما كان بطيب نفس صاحبها فلا تقربوا شيئا من ذلك فإن فعل ذلك من فعل الفجار . وأما الصالحون الأبرار فهم منزهون عن ذلك وكذلك المتوجهون إلى الله من أهل النسبة فهم أبعد وأبعد من ذلك إذ هم رضي الله عنهم زهدوا في الحلال إلا ما لابد

---

(١٦٤) سورة محمد ، الآية ٧
(١٦٥) سورة الحشر ، الآية ٧
(١٦٦) سورة آل عمران ، الآية ٣١ .
(١٦٧) تنفيخ الطابة : الشقوق .

منه فضلا عن الحرام وكل من رأيتموه يفعل شيئا من ذلك كأكل الحشيشة مثلا أو طابة ففروا منه وتعوذوا بالله منه فإنه شيطان من شياطين الإنس سلطه الله على أهل النسبة ليختبرهم هل يثبتون على الصراط المستقيم أو يعوجون عنه فإياكم ثم إياكم أن تقتدوا به أو يغركم بقوله أو يميل بكم إلى الرخص والتأويلات فإنها سبب البطالة والخسران ونحبكم لاتتكلموا في الحقيقة مع أحد قط ممن لم يطلع عليها فإنها تحل المريد وتفسده قبل تربيته وكمال تهذيبه فسدوا باب الحقيقة ولا تتكلموا إلا في الشريعة والطريقة وكل من جاء يذكركم بغيرها فلا تسمعوا منه وقللوا من الأسباب ما استطعتم واقنعوا بما تيسر من الرزق فإن رزق الأشباح مضمون ما قل منه يكفي ولا تحرصوا إلا على رزق الأرواح وهو ذكر الله وزيارة المشائخ والإخوان وخدمتهم فلا تقنعوا منه بقليل ولا كثير وكذلك الفكرة والنظرة لمن قدر عليها فإنها سبب الغنى والفوز العظيم ولا تكون إلا مع التفرغ الكبير قلبا وقالبا والسـلام .

وكتبت رسالة أخرى إلى فقراء تازة ونصهـا . .

بعـد الحمـد والصلاة . .

إلى كافة الأحباب من فقراء تازة وغيرهم المتجردين والمتسببين السلام عليكم والرحمة والبركة والعافيـة .

أما بعد فنتيجة صحبة الرجال هو تحقيق مقام الوصال والوصول هو الفناء في الذات الذي هو مقام الإحسان وهو مقام الشهود والعيان حتى يفنى الكون ويبقى المكون .

ونقول يفنى الحس وتبقى المعنى فيغرق العبد في بحر المعاني وتسقط من رويته حس الأواني فكل من صحب الرجال ولم يبلغ لهذا المقام فهو معلول إما همته ضعيفة أو قريحته باردة أو وقع له غلط حتى قنع بحاله وذلك من قلة صحبته .

فكونوا بارك الله فيكم من أهل الهمم العالية فلا ترضوا بغير الوصول إلى الحضرة القدسية ولتكن قريحتكم وقادة وهمتكم عالية والقريحة هي الولاعة . الفقير الصادق لاتجده إلا ذاكرا أو متفكرا أو تاليا أو مصليا أوقاته معمورة وحركاته وسكناته بالإخلاص ملحوظة إن تكلم فبذكر الله وإن صمت فعن الغيبة في الله يجول بفكرته في عظمة الله فالفكرة سراج القلب فإذا ذهبت فلا إضاءة له فليس للقلب إلا وجهة واحدة إن وجهته لله بالفكرة أو النظرة كان سائرا وإن وجهته لهموم الدنيا وأشغالها كان واقفا بطالا .

وقد قال عليه السلام : « سيروا فقد سبق المفردون . قيل وما المفردون يارسول الله ؟

قال : المستهترون بذكر الله أي المولعون به ».

فلكل مقام عمل فأهل التجريد عملهم الفكرة أو النظرة أو العكوف في الحضرة مع القرار من محل العلائق والشواغل فإن تركوا عملهم هذا كانوا بطالين شعروا أم لا وأهل الأسباب عملهم ذكر اللسان على الدوام والمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعة والقناعة من الدنيا وترك الفضول من كل شيء والفضول هو الزيادة على الحاجة ولاسيما في الكلام.

قال عليه السلام : « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه ».

وما لا يعني هو الذي لا فائدة فيه فالفقير الصادق يقضي ألف حاجة بكلمة واحدة والفقير الكاذب يتكلم ألف كلمة يقضي حاجة واحدة كما قال شيخنا رضي الله عنه . فانهضوا بارك الله فيكم بأجمعكم إلى الله حتى تصلوا إلى حضرة الله فتكونوا من أولياء الله .

قال تعالى : « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »[١٦٨] .

والولي هو الذي تكون همته الله وشغله الله وفناؤه في الله فمن جعل الهموم هما واحدا وهو الله كفاه الله هم دنياه وأكرمه في أخراه وقام بأموره كلها على مايحبه ويرضاه . ومن تشعبت به الهموم مات في أودية الهموم جعلني الله وإياكم ممن قصر همته على الله . ولم نلتفت إلى شيء سواه آمين والسلام .

وقد كتبت رسالات أخر إلى فقراء انجرة والفحص وطنجة وكتبت إلى فقراء العرائش وإلى علماء سلا والرباط لكن لم نأخذ منهم نسخة أخرى فالله يديم النفع بالجميع آمين .

وقد وضعت حزب الحفظ والتحصن ونصه

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم « وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا * وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفورا » . « إن وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » ياحفيظ ياعليم ياعلي ياعظيم أسألك باسمك الأعظم وكلماتك التامات التي لايجاوزهن بر ولا فاجر ألا تسلط علينا جبارا

---

(١٦٨) الآية ٦٢ من سورة يونس .

عنيدا ولا شيطانا مريدا ولا ضعيفا من خلقك ولا شديدا . اللهم احفظنا بعين رعايتك واكلأنا بسابق عنايتك وتولنا بسر ولايتك كما توليت أنبياءك ورسلك وخاصة أوليائك إنك على كل شيء قدير . اللهم أدخلنا في حرز حصنك المنيع واضرب علينا سورا منيعا من سرادقات حفظك ياسريع واكلأنا بعين العناية منك ياسميع .

اللهم احرسنا بعينك التي لاتنام واكنفنا بكنفك الذي لايرام وأدخلنا في حمى جوارك الذي لا يضام ياذا الجلال والإكرام . إلاهنا توليت حفظنا قبل كوننا ونحن في غيب الأرحام فكيف لا تحفظنا بعد كوننا وأنت الحفيظ لجميع الأنام .

إلاهنا من سبقت له منك العناية كان محفوظا في جميع الأوقات ومن لحقته منك الرعاية كان ملطوفا به في جميع الحالات لا تخرجنا عن دائرة الألطاف وأمنا من كل ما نخاف .

إلاهنا قد علمنا أن قضاءك النافذ في العبيد لا ترده همة عارف ولا مريد لكن لطفك الخفي وتأييدك الوفي يجريان مع كل قضاء عند كل عارف وولي فأشهدنا ذلك اللطف الخفي في جميع الأقدار وارزقنا ذلك التأييد الوفي عند هجوم الأكدار ياكريم ياحليم ياغفار .

اللهم احفظ قلوبنا من الزيغ والعناد واعصم جوارحنا من البغي والفساد واسلك بنا مسالك أهل المحبة والوداد إنك لاتخلف الميعاد .

اللهم احفظ أرواحنا من خوض الأغيار وصن أسرارنا من لوث الآثار ومن الوقوف مع الأنوار حتى لانشهد إلا إياك في السر والإجهار .

اللهم احفظنا من القواطع والعلائق ومكن أسرارنا من أنوار الحقائق حتى ننخرط في سلك المقربين السوابق .

اللهم حفنا برعايتك وخصّنا بعنايتك وأدخلنا في حصن حمايتك واجعلنا من الصالحين .

اللهم احفظنا من جميع الفتن وعافنا من جميع المحن إنك ذو الجود والامتنان .

اللهم ياشديد البطش ياجبار ياقهار يامن لايعجزه قهر الجبابرة ولا يفوته هلاك الملوك الأكاسرة اجعل كيد من يريدنا في نحره ومكر من مكر بنا عائدا عليـه .

اللهم لاتمكن الأعداء منا ولا تسلطهم بذنوبنا علينا .

اللهم اكفنا شر العدا ولاقهم الهوان والردى وعاجلهم بالعقوبة فى اليوم وغدا أو ردهم

إليك بسابق اللطف والاهتداء . اللهم إن سبق لهم منك الطرد والبعاد فلا تسلطهم على أهل المحبة والوداد .

اللهم إنا ندرأ بك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم ونتحصن بك من كيد غرورهم . اللهم اضرب بيننا وبينهم « بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب » ياكريم ياوهاب . اللهم بدد شملهم وفرق جمعهم وأبطل كيدهم وفل حدهم ومزقهم كل ممزق واجعلهم عبرة لمن بعدهم واجعل دائرة السوء عائدة عليهم فـ « سيكفيكهم الله وهو السميع العليم » « ولو نشاء لطمسنا على أعينهم فاستبقوا الصراط فأنى يبصرون ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضيا ولا يرجعون » حمّ « لا ينصرون حمّ لاينصرون حمّ لا ينصرون ألف بسم الله الرحمن الرحيم عن يميني وألف بسم الله الرحمن الرحيم عن شمالي وألف بسم الله الرحمن الرحيم من أمامي وألف بسم الله الرحمن الرحيم من خلفي وألف بسم الله الرحمن الرحيم من فوقي وألف بسم الله الرحمن الرحيم من تحتي وألف بسم الله الرحمن الرحيم محيطة بي « والله من ورائهم محيط بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » « فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » .

اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته وممن استهداك فهديته وممن استنصر بك فنصرته وممن استحفظك فحفظته إنك على كل شيء قدير . اللهم احفظني في ديني وأهلي ومالي وإخواني . اللهم اجعلني وإياهم منك في عياذ منيع وحرز حصين من جميع خلقك حتى تبلغنا أجلنا معافين يا أرحم الراحمين تحصنت بلا إله إلا الله واعتصمت بلا حول ولا قوة إلا بالله وتشفعت بسيدنا محمد رسول الله ﷺ .

اللهم بك أدافع وبك أحاول وبك أصول وبك أقاتل لاطاقة للخلق مع قدرة الخالق حسبي الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . « فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » ، (سبعا) وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . « سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين » . انتهـــى . . . . .

ووضعت حزب العز والنصـــر وهو هذا

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ❀ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج

الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب » . « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا » .

يا عزيز ياقوي ياعظيم ياعلي يافتاح ياغني أسألك بعزة ذاتك وبهاء صفاتك وقهر سطواتك ونور سبحاتك وبمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وبعز عزك ونصر نصرك أن تمنحنا عزا شامخا ونصرا باذخا تخضع لسطواته الجبابرة والطغاة وترعد من هيبته الملوك الولاة « فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم » .

يامن تعزز بكمال قدرته واحتجب بنور عظمته فلا تدركه الأبصار ولا تحيط بكنه ذاته الأفكار أسألك عزا باهرا ونصرا ظاهرا وفتحا كاملا وغنى شاملا . « نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » . « بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراط مستقيما * وينصرك الله نصرا عزيزا » .

اللهم بعزة جبروتك وكبرياء ملكوتك وسرعة إغاثتك لأوليائك وغيرتك لانتهاك حرمة أصفيائك أدخلنا في سرادقات عزك المتين واضرب علينا سورا من سور حفظك الحصين ياحفيظ ياقوي يامبين . « فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين » .

اللهم أعزنا بعزة الطاعة والإيمان واحفظنا بحفظ أهل المراقبة والاحسان وتول أسرارنا بما توليت به أهل العناية والعرفان يا كريم ياحنان يامنان « إن وليّي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين » .

اللهم يامن اختص بكمال العزة والجمال وتردى برداء الكبرياء والجلال أسألك عز الدنيا والآخرة على نعت التمام ووصف الكمال عز الدنيا بالمعرفة والإيقان ودوام الاستغراق في الشهود والعيان وعز الآخرة بنيل الرضى والرضوان والكون في مقعد صدق عند الكريم المنان يارحيم يارحمان .

اللهم ياحليم ياغفور ياودود ياشكور اجعلنا من جندك الغالب وحزبك المنصور .

اللهم انصرنا ولا تنصر علينا واحفظنا بما حفظت به الذكر الحكيم وانصرنا بما نصرت به الرسل إنك على كل شيء قدير .

اللهم اجعلنا من الذين اصطفيتهم لحضرتك وأتحفتهم بمحبتك حتى خدمهم الدهر والزمان وانقادت لطاعتهم الأكوان فاستغنوا بك عن كل شيء وأمنوا بك من كل شيء

وخالقهم كل شيء إنك على كل شي قدير .

اللهم ياوهاب يارزاق ياباسط ياواسع ابسط لنا من رزقك الواسع ما تجبر لنا به خلة الفقر والهلع وسد عنا به باب الحرص والطمع نشهده منك فنكون لك من الشاكرين ونضيفه لك ولا نضيفه لأحد من العالمين .

اللهم أغننا بك عن رؤية الوسائط والأسباب ووصلنا بك إليك يامالك الملوك ورب الأربـاب .

اللهم ياحفيظ ياعليم يارءوف يارحيم احفظني في أهلي وتركتي وأصلح لي ذريتي واجعلني من الصالحين .

اللهم « أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين » .

اللهم اجعل دارنا مأوى للعز وكهف الأمان يأوي إليه أهل العناية والعرفان يارحيم يا رحمـان .

اللهم خصنـا بالحفظ والعناية ومن تعلق بنا بالعز الشامل والولاية ومن أحبنا فيك بحسن الختام وتمام الرعاية إنك على كل شيء قدير « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم * فإن تولّوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم » .

اللهم صل على سيدنا محمد الذي ملأت قلبه من جلالك وعينه من جمالك فأصبح فرحا مؤيدا منصورا وعلى آله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله على ذلك .

فرحنا يا مولانا وأيدنا واهدنا وانصرنا بك لك بحرمة وجودك القديم الأزلي الذي ليس له عدم سابق ولا لاحق سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين . انتهـى .

ووضعت أيضا حزب الفتح وهو هـذا

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا * ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما * وينصرك الله نصرا عزيزا * نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين .

اللهم يافتاح ياعليم ياعلي ياعظيم ياحليم ياكريم أسألك بمفاتح غيبك ومواهب سيبك وبأسرار كتابك وبما استفتح به أصفياؤك وخاصة أوليائك أن تفتح بصائرنا بشهود ذاتك وأنوار صفاتك حتى نعرفك حق معرفتك إنك على كل شيء قدير .

اللهم افتح لنا من فيض أسرار العلوم ومكنا من خزائن الفهوم واكشف عن قلوبنا أكنّة الحجب ياحي ياقيوم .

اللهم افتح أبصارنا لشهود عظمتك حتى نراك بك لا بغيرك وافتح أسماعنا لسماع كلامك حتى نسمع بك منك وافتح قلوبنا لورود مواهب غيبك حتى تمتلىء بأنوار محبتك إنك ذو الفضل العظيم .

اللهم يافتاح يارزاق ارزقنا من قوت أشباحنا ما تسد به عنا باب الفقر إلى خلقك ومن قوت أرواحنا ما تغنينا به عن شهود غيرك ومن قوت أسرارنا ما تجمعنا به دائما في حضرة قدسك إنك على كل شيء قدير .

اللهم إنك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا فوصلها لنا بالهناء والسلامة مصانين فيها من الحجبة محفوفين فيها بأنوار الوصلة نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين ونضيفها لك ولا نضيفها لأحد من العالمين .

اللهم إن الرزق بيدك رزق الدنيا ورزق الآخرة فارزقنا منهما ما علمت فيه المصلحة والعود بالجدوى علينا إنك بكل شيء عليم .

اللهم افتح لنا ما عسر من أمورنا وفرج عنا ما ضاق من أحوالنا وأبدل ساعة العسر باليسر كما وعدتنا إنك لا تخلف الميعاد .

اللهم ضاقت المذاهب إلا إليك وخاب الأمل إلا لديك وبطل التوكل إلا عليك رب لا تذرني فردا وأنت خير الوارثين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . إلا هنا انقطعت آمالنا ـ وعزتك ـ إلا منك . وخاب رجاؤنا ـ وحقك ـ إلا فيك . وانقطع اعتمادنا ـ وحياتك ـ إلا عليك .

إن أبطأت غارة الأرحام وابتعدت فأقرب الشيء منا غارة الله

يا غارة الله جدي السـير مسرعة	في حل عقـدتـنـا يـاغـارة الله
ولا نرتجي كشف ضر ثم حادثة	فـي كـل نـائـبـة إلا من الله

إلاهنا لطفت بنا قبل كوننا ونحن للطف غير محتاجين أفتمنعنا منه مع الحاجة إليه وأنت أرحم الراحمين إلاهي العجل العجل الإجابة الإجابة إلاهي الإغاثة الإغاثة يامن أجاب دعوة زكريا ويامن سمع تسبيح يونس بن متى ويامن كشف ضر أيوب ويامن رد يوسف على يعقوب ويامن أغاث إبراهيم قبل السؤال ويامن أعطى حبيبه محمداً ﷺ فوق ما أمل أجب دعاءنا فيما سألناك وافتح علينا سريعا فيما أملناك ياأمل المؤملين وياغاية نصر الراجين حاشاك أن تخيب من قصدك أو تحرم من سألك وأمرك بين الكاف والنون . « إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون » .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

انتهى حزب الفتح وبه ختمت الفهرسة بحمد الله وحسن عونه بعد ظهر تاسع ربيع النبوي عام ثان وعشرين ومائتين وألف عرفنا الله خيره وصرف عنا شره آميـن .

وفيه غارت بنو حسان على بني سعيد معتمدين على عدتهم وعددهم فردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قويا عزيزا .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين .

* * *

انتهى استخراجه من مبيضته بحمد الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه ضحوة يوم الاثنين العاشر من الشهر المذكور على حسب التاريخ المذكور .

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما على يد كاتبه لمؤلفه رضي الله عنه وأرضاه العبد الفقير المضطر إلى رحمة مولاه العلي الكبير عبد الغفور بن التهامي البناني كان الله له ولأشياخه ولجميع الإخوان .

تمت الفهرسـة

فهرس الكتاب

الموضوع	الصحيفة
إهداء	٣
مقدمة المحقق	٧
مقدمة المؤلف	١٥
الفصل الأول : ذكر أسلافنا وما يتعلق بنسبنا	١٦
الفصل الثانى : ذكر النشأة والتربية الحسية	٢٦
الفصل الثالث : ذكر ابتدائى لطلب العلم الظاهر	٢٩
ذكر سندنا فى الحديث النبوى والفقه إلى رسول الله ﷺ	٣٣
ذكر إجازة أشياخنا	٣٥
ذكر ماجمعناه من التصانيف بحول الله وقوته	٣٨
ذكر انتقالنا إلى العمل والتجرد للعبادة	٤٠
ذكر انتقالنا لعلم الباطن	٤٤
ذكر خدمتنا للشيخ بنفسنا ومالنا	٤٦
ذكر سياحتنا فى بداية أمرنا للذكر والتذكير	٤٨
ذكر ما راتكبناه فى سيرتنا من الأحوال لقينا من الأهوال فى طريق الوصال	٥٢
ذكر امتحاننا بالسجن والخروج من الوطن	٥٧
ذكر سندنا لطريق التصوف إلى النبى ﷺ	٦٠
ذكر من شهد لنا بالخصوصية على وجه الإخبار من المشايخ وغيرهم	٦٧
ذكر من أخذ عنا التربية النبوية من الفقراء المتجردين والمتسببين	٧٥
ذكر ما تزوجنا من النساء وما ولدنا من الأولاد	٧٧
ذكر ماكنا حصلناه من العلوم الظاهرة والباطنة	٨٧
ذكر ما أجرى الله على لساننا من الكلام والحكم نظما ونثرا	٠٢
حزب الحفظ والتحصن	٢٩
حزب العز والنصر	٣١
حزب الفتح	٣٣